كنيســة القديسـين مارمرقس الرسـول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

إقرأ وافهم
إيمان كنيستنا



٧- الخروف الضال
كيف يضل ؟

كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
والبابا بطرس خاتم الشهداء

اقرأ وأفهم
إيمان كنيستنا

مدينة الموت

شارع الظلام - عمارة المذلة - شقة العذاب

الأخ الحبيب/ ....

المُرسِل: أبناء النور - ش بوق الإنذار - مدينة السعادة

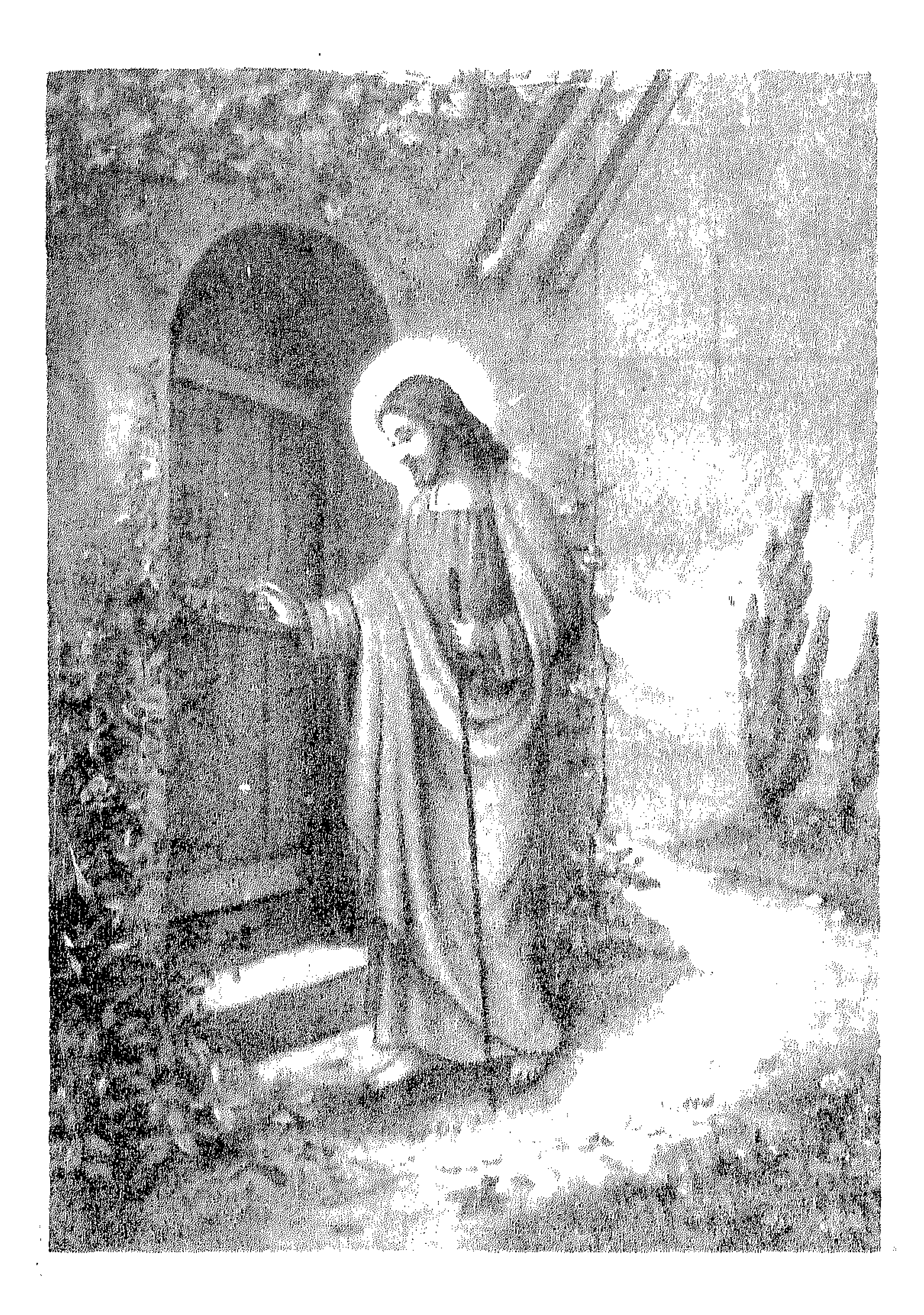
(مت١٠:٣٣- مر٨:٣٣- لو٩ :١٢- ٢تي٢:١٢)

Air Mail

"بيتر ونادر ومنير ينصتون"

٧. الخروف الضال.. كيف يضل..؟

الطبعة الحادية عشرة



عاد النداء...وعاد اللقاء.

مرت الأيام والسنون، وقارب الأصدقاء الأخميميون على الانتهاء من دراستهم الجامعية.. تغيرت الأحوال وتبدلت، ولقاءات الأصدقاء مع خادمهم قلّت كثيرًا؛ ولكن مع هذا ينبوع المحبة لا ينضب.. فمازال يتجدد يومًا فيومًا.. وبدون سابق موعد كان النداء فتجمع الأصدقاء معًا في منزل خادمهم الأمين.

الأخ زكريا: كم نشكر الله على القفزات الإيمانية القوية لسلسلة إيمان كنيستنا بفضل صلوات آباءنا الشهداء.

منير: نحن نشاركك مشاعر الشكر.. ونطلب من الله أن يسمح باستكمال المجموعة إلى عدد الكمال (٧) لأنني لا أستريح لعدد المجموعة (٦).

بيتر: أشعر بأن النداء بدأ يعاودنا.. وأرى أن هناك موضوعًا يطرح نفسه أمامنا بقوة.. إنه الخروف الضال.. كيف يترك القطيع..؟! ما الأسباب التي تدفعه إلى هاوية الهلاك..؟ وهل له أمل في العودة؟

نادر: ياليتنا نعود وندرس.. ويا ليت اللقاء المرتقب يكون في كنيسة القديس سمعان الدباغ بجبل المقطم لنعاين قوة الإيمان في الماضي وفي الحاضر.

بيتر: ولعلنا نجد فرصة لأخذ بركة كنيسة السيدة العذراء بالزيتون لنعود للإصغاء إلى رسالة السماء التي وجهت لنا عام ١٩٦٨ ومازال صداها يرن في الآذان.. إن الله يُعلن ذاته للبشرية جمعاء.. أنا هو الله.. أنا هو الحق.. أنا هو الحياة.. ها أنا أعلن ذاتي لأن الوقت قريب والأيام شريرة.. ومتى جاء ابن الإنسان في مجده ألعله يجد الإيمان على الأرض.

الأخ زكريا: عجبًا..! إنني لا أكاد أصدق حديثكم هذا..!

بيتر: ولماذا العجب.؟

الأخ زكريا: لأن نفس الموضوع الذي طرحته أمامنا الآن يا بيتر كان محور انشغالي وتفكيري طوال الأسبوع الماضي.. وسجّلت خواطري في رسالة إلى الخروف الضال، وقد دعمتها بالخبرة العملية للآباء المختبرين، وها هي معي.. ألديكم الوقت لتسمعوني؟

الأصدقاء: نعم نعم.. زدنا إيمانًا يا خادمنا العزيز.

بدأ الأخ زكريا يقرأ.. والأصدقاء يصغون.. المشاعر أقوى من الكلمات كثيرًا حتى سالت الدموع.

عقب القراءة طلب الأصدقاء من خادمهم الحبيب أن يعتبر هذه الرسالة الكتاب السابع من سلسلة إيمان كنيستنا، وإن سمحت عناية الله بمزيد من الدراسة في المستقبل فليكن.

رسالة إلى أختي .. أخي الخروف الضال

أختي.. أخي الحبيب/

نعمة وسلام،،،

أهديك نعمة الله وسلامه مع يقيني بأنه لم يعد للنعمـة وجود في حياتك وقد فقدت تمامًا السلام.. ولكن إذ أنت قريب لي جدًا كما أنا قريب لك لذلك تجد مشاعري ملتهبة نحوك.. أجوز معك الآلام التي تجوز فيها لعل الله ينظر إلى مذلّتنا، ولعل كلامه يجد له موضعًا في قلبك.

ثق يا حبيبي أن السيد المسيح الذي أنكرته مازال يحبك ويطلبك والكنيسة التي جحدتها مازالت تُذرف الدمع عليك مرارًا، ولا تكُف عن الصلاة من أجلك.. فقط أرجوك أن تُطيل أناتك عليّ حسبما يعيد قارب حياتك اتزانه، ويدير اتجاهه من نار الجحيم إلى شاطئ الأبدية..

اقرأ رسالتي هذه في تمعن وفهم وهدوء.افهم ما أقول.. "فليعطيك الرب فهمًا في كل شيء" (٢تي ٢:٧).

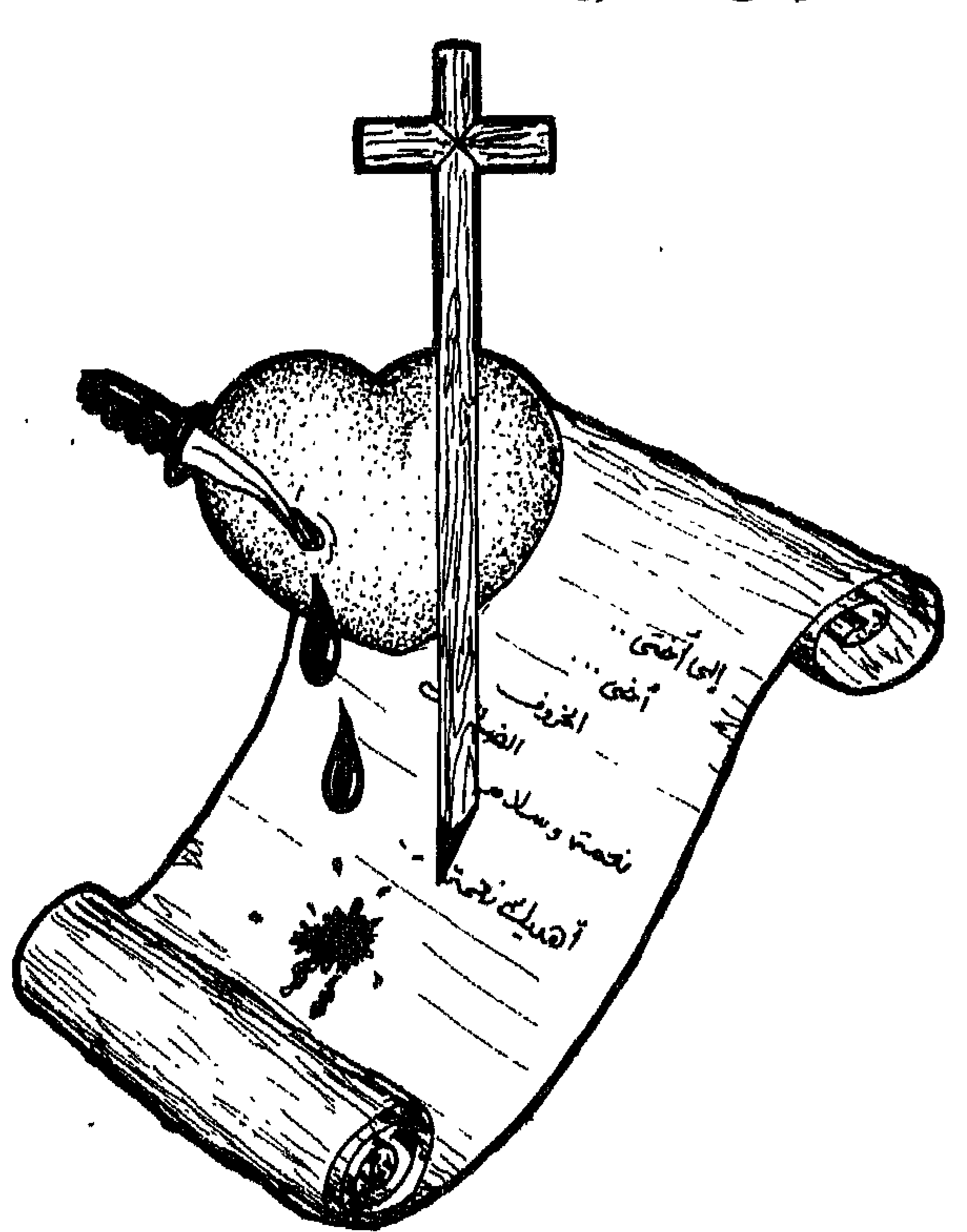
وإن شئت فلتُعِد القراءة مرة ومرات حتى تأخذ القوة التي تعيدك إلى مملكتك، وتعيد إليك مملكتك التي تحطمت يا ابن القديسين والشهداء.. يا حبيب الملائكة الجبابرة الأقوياء.. يا ابن المسيح ملك الملوك ورب الأرباب.

وحيث أنك ياحبيبي قد صرت كرة في ملعب الشياطين فأرجو أن تساعدني لكي ما نكشف معًا النقاب عن لعبة الشياطين الثلاث:

اولاً: الشيطان المدبر.

ثانيًا: الشيطان المشعلل.

ثالثًا: الشيطان المُسلسِل.



أولاً: الشيطان المدبِّر

يا صديقــي.. لقد دبّر لك الشيطان كل أمـور سقوطك.. أليس كذلك..؟

حقًا أن مملكة الشياطين مملكة منظمة جدًا ومرتبة ومتعاونة.. لا تكف عن شن الحروب على أولاد اللــه.. يبدأ أولاً الشيطان المُدَبِّر مع معاونيه وجنوده في إرسال طلائع الاستطلاع ليحدد الهدف جيدًا ويدرسه من جميـع جوانبـه واتجاهاتـه، كمـا يـدرس أرض المعركـة المتسعة التـي تشـمل أمـاكن السـكن والعمـل والدراسـة حتــى سـبل المواصلات.

دعنا يا صديقي نتحدث عن هذه الأمور بشيء من الاختصار..

أولاً: مملكة الشياطين:

مملكة الشـياطين بأعدادهـا الغفيرة وقوتهـا الرهيبـة تتمتـع بنظـام قوي مُحكَم، وتنسيق كامل في العمل، وتعاون تام مع سـرعة كبيرة فـي الحركـة والانتشـار، وخبرة آلاف السـنين فـي القتـال، والصــبر وطول الأناة في المنازلة.

وهذه المملكة منذ أن سقطت من السماء تقاوم أعمال الله، وتُجَنـد كل طـاقتها وإمكاناتها ضد الإنسان صورة اللــه، وحـروب الشـياطين

ضد البشرية لم تكف ولن تنتهي إلا في اليوم الأخير حين يُطرح إبليس وكل جنوده مع أعوانه في بحيرة النار والكبريت.

ولا مفر أبدًا من الحرب الضروس بين أبناء الله ومملكة الشيطان.. ألا تذكرون موسى عندما عبر بشعب الله البحر الأحمر (المعمودية) وقد غرق فرعون وكل جنوده ومركباته.. هل انتهى الأمر عند هذا الحد..؟ كلا.. لقد ظهر الشيطان ثانية في شكل عماليق يهجم على شعب الله ويريد إبادته.. لم يكن لبنو إسرائيل دراية بالحرب فهو شعب طال استعباده وإذلاله فكيف يصد هجوم العمالقة..؟ وماذا تفعل يا موسى إلا أن ترفع يديك لإله السماء وبالصليب تنال النصرة.. وما زال الموقف يتكرر يومًا فيومًا.. "للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور".

ويصف قداسة البابا شنودة الثالث في كتابه "حروب الشياطين" الشيطان بأنه:

صاحب قتال لايهدأ.. قوي فهو بالسقوط فقد مرتبته لكنه لم يفقد قوته.. خبير بالحروب بيننا.. ذكي وصاحب حيلة.. كذاب وأبو الكذاب يدعى.. لحوح.. مشتكي.. كثير المواهب.. قاس لايرحم.. خبيث في تظاهره بالعطف على الإنسان.. حسود نهّاز للفرص.. غير مخلص وغير أمين.

لن تخلص نفس إلا بقوة الله.. لهذا يبذل الشيطان قصارى جهده في الضربة الأولى الموجهة للنفس، وما هي هذه الضربة الأولى إلا فصل النفس عن الله.. فإن نجح الشيطان في ضربته الأولى هذه حينئذ يقوى على النفس بسهولة ويقتنصها له.. لذلك يجب أن تركز النفس كل جهادها في الالتصاق بالله الذي يحميها ويعبر بها كل المخاطر والمعارك إلى الأبدية السعيدة.

ثانياً: طلائع الاستطلاع:

يبدأ الشيطان المدبر عمله بتحديد الفريسة، ويرسل جنوده لمراقبة جميع تصرفات هذه النفس، ودراسة كل ما يختص بأمورها.. ماضيها وحاضرها.. قوتها وأسبابها.. ضعفاتها وسقطاتها.. اشتياقاتها وشهواتها.. صلواتها وأصوامها.. طباعها وميولها... الخ

وعندما تكتمل كل هذه المعلومات والبيانات يعقد الشيطان المدبر جلسة خاصة مع جنوده للمداولة، ووضع الخطة المُحكمة للنفس، وترتيب كافة الضمانات حتى لا تفلت الفريسة متى أمسك الفخ بها.. أما لو حدث ما لا تُحمَد عقباه وتنبهت هذه الفريسة إلى طريق الهلاك الذي تسير فيه فتصرخ إلى الله الذي يرسل ملائكته يكسرون الفخاخ وينقذون الفريسة.. لا تتصور يا صديقي مدى

حزن الشيطان عندئذ حتى صوّره البعض مثل إنسان جلس يلطم وجهه وينتف شعر لحيته ويندب حظه العاثر ويبكي فشله الذريع.

لهذا يهتم الشيطان المدبّر بالدراسة الجيدة لكل أمور النفس حتى لا تفلت من يده.. ولهذا يرسم الخطط البديلة المتحركة حتى إذا حدث ما هو ليس بالحسبان يعدّل الشيطان الخطة الأصلية بأخرى بديلة.. ومُجمَل القول أنه لا توجد مشكلة على الإطلاق لدى الشيطان المُدبّر.. الأمر الوحيد الذي يقلقه ويصرعه هو الاستنجاد بالمعونة الإلهية.

الشيطان المدبر نهّاز للفرص.. وأكثر الفرص التي ينتهزها هي:

١) الجوع العاطفي:

العاطفة والمشاعر والأحاسيس أمور طبيعية أودعها الله في الإنسان حتى يستطيع أن يحب ويتمتع بهذا الحب.. ولكن الخطورة تكمن في انحراف هذه العاطفة أو انقسامها.. العاطفة المنقسمة بين الروح والجسد.. بين السماويات والأرضيات.. بين الله والعالم تعرج بين الفرقتين، وفيما هي تعرج بين هذا وذاك تتعرض للسقوط في الفخاخ الكثيرة المنصوبة لها.. أما العاطفة المنحرفة فهي تمثل صيد سهل ثمين لعدو الخير.

عندما يكتشف الشيطان هذه النفس الجائعة عاطفيًا يهيئ أمامها الظروف التي تغريها وتجذبها بعيدًا بعيدًا عن الحضرة الإلهية..

ويسأل الشيطان هذه النفس قائلاً: مـاذا تطلبيـن أيتهـا النفـس الجائعـة المسكينة؟

هل تطلبين الكلمات الحلوة الناعمة المُنمّقة التي تُشـعل العاطفـة، ما أكثرها.. إنني سأنطق بها على لسان الطـرف الآخـر كمـا نطقـت بها في القديم عن لسان الحية وأسقطت حواء.

هل تريدين اللمسات اللطيفة التي تلهب العاطفة..؟

وهذه أيضًا لن أبخل بها عليك مادمت تعبديني.

وهل تحتاجين الجمال الفائق الخلاب..؟

وهذا أيضًا لن يُعصى عليّ.. فما أسهله.. في سلطاني أن أصوّر لك القرد غزالاً والأسد حمَلاً.. ألا تعلمين أنني أستطيع أن أظهر في شكل ملاك نوراني..؟

وهكذا يظل الشيطان يتسامر مع النفس، وينتقل بهـا مـن مرحلـة إلى أخرى حتى نهاية المطاف.

ويتعامل الشيطان مع النفس بحكمة بالغـة.. فـلا يعطيهـا كـل مـا تشتهيه دفعة واحدة.. لكنه يراقب النفس جيدًا فالنفس التـي تموت من الجوع العاطفي يظل الشيطان يداعبها ويساومها ويحطم كل مـا هـو حسن فيها ولا يلقي إليها إلا بالفتات القليلة ليضمن استمرارها معه.. أما النفس التـي لا تشعر بالجوع العـاطفي إلا قليـلاً فإنـه يهيـئ لهـا

المائدة أشكالاً وألوانًا.. مائدة مزدحمة شيطانية ليغريها ويسقطها ويضمنها في أحضانه.

والجوع العاطفي لا يتوقف على حالة الإنسان الاجتماعية إن كان أعزبًا أو متزوجًا فكثيرون من المتزوجين يصطادهم الشيطان بشباك العاطفة.

أما عن علاج الجوع العاطفي فيأتي من خلال:

أ) **أحضان الحب الإلهي:** النفس التي تشبع من الحب الإلهي لاتشعر بجوع عاطفي على الإطلاق.. لماذا..؟ لأن العاطفة تكون مشغولة بكامل طاقتها، والدليل على هذا الرهبان والراهبات والسواح الذين تخلوا عن كل محبة جسدانية وعاشوا حياة ملائكية.. حياتهم مملوءة بالعطف والشبع الروحي رغم حياتهم في الصحراء الجرداء.

ب) **أحضان الأسرة:** أحضان الأسرة عامل أمان ضد الضياع، وجلسة أفراد الأسرة معًا تضفي نوع من السعادة والدفء الأسري والارتباط وتفجّر طاقات الحب الكامنة، كما أنها تطعن السرية وإخفاء الأمور الخاطئة في مقتل.

جـ) **أحضان الكنيسة:** الكنيسة هي الأسرة الكبيرة التي ننتسب إليها.. المهم أننا نعيش في أعماق الكنيسة وليس على هامش الحياة.. نتفاعل مع الصلوات والألحان والطقوس والأصوام

ونشارك في الخدمات والأنشطة... الخ.. فالجو الكنسي يشبع العاطفة.. وحكى لي أبي الكاهن قصة على هذا:

كان هناك سيدة تعيش مع زوج أناني لايهتم بها.. يصرف معظم وقته خارج المنزل مع أصدقائه، وحتى فترة وجوده بالمنزل يأتي بجاره الغير مسيحي يتسامر ويلعب معه الطاولة.. الزوجة بالنسبة له وسيلة لتحقيق طلباته وتلبية احتياجاته بدون أي نوع من المحبة والحنان.. لايكلف نفسه بقضاء احتياجات المنزل والأولاد، والمدهش أنه يدعو زوجته للخروج مع هذا الجار لقضاء هذه الاحتياجات..

تكرر خروج الزوجة مع هذا الجار الذي أخذ يظهر شهامة وشجاعة ويكشف عن المودة والحب والاهتمام، وتولدت العاطفة غير المقدسة بين هذا الجار الذي خان الأمانة وبين هذه الزوجة.. وعندما بدأ الزوج يشعر بحقيقة الموقف تركت له المنزل وأقامت مع الجار وأنكرت مسيحيتها أما زوجها فلم يقوى على الاقتراب منها.. أما الجار الخائن، فماذا فعل..؟؟

أولاً: تزوجها زواجًا عرفيًا حتى لايُلزِم نفسه بأي التزامات مادية.

ثانيًا: ظهر على حقيقته.. فاختفت المودة والشهامة وجف الحب.. وأصبح لاينظر إليها كشريكة حياته لكن كإنسانة غير أمينة

على حياتها السابقة.. وطالبها بالنزول للعمل ليستفيد منهـا، وسـاءت معاملته لها، واكتشفت أنها لـم تكـن إلا لعبـة لتحقيـق ذاتـه وشـهواته وعرفت أن نيران الزوج الأول أرحم كثيرًا من رحمة الزوج الثاني.

التقت هذه الزوجة مع أحد الأشخاص المسيحيين الذي قادهـا إلـى أبي الكاهن الذي شـعر أن هـذه السـيدة لاتحتـاج إلـى جلسـة وإقنـاع عقلي بقدر حاجتها إلى عاطفة مقدسة.. أعطاها ميعاد صبـاح الأحـد فحضـرت وسمعت العظة وعند انتهاء القـداس أثّـر فيهـا جدًا منظـر المؤمنين الخارجين من الصـلاة.. إنهـم يلتقـون معًـا بفـرح وسـرور وابتهاج وبساطة قلب، يسألون عن الغائب والمريض والسعادة تظلل على المكـان، ودفـاء الجـو الكنسـي يشـع علـى الوجـوه.. وعندمـا جلست هذه السيدة مع أبي الكاهن قالت له: أنا لم أعد أحتاج لشيء.. لا للزوج الأول ولا للزوج الثاني.. كل احتياجي أن أعيش فـي هـذا المجتمع السعيد وأكون واحدة من أفراده.

وهنا يجب الإشارة إلى نقطة هامة، وهي:

النادي الكنسي للشباب: نادي الشباب المدعم بالخدام فـي منتهـى الأهمية.. ياليت جميع الشباب المسيحي الجالس على القهـاوي يـأتي إلى نـادي الكنيسـة فيجلسـون فـي جـو كنسـي بعيـدًا عـن المخـاطر.. يتسـامرون ويلعبـون ويسـتمتعون بكلمـة اللـه مـن خـلال شـرائط



الكاسيت، ويشاهدون أفلام الفيديو الدينية ويتدخلون لإنقاذ الحالات المعرّضة للسقوط..

النادي الكنسي للأسرة: بعض الكنائس -أو لنقل القليل منها- بدأت هذه التجربة واجتازتها بنجاح.. ويمثل النادي الأسري مصيدة لصيد النفوس الضعيفة التي على شفى الهاوية أو إبلاغ الأب الكاهن عنها.. ومن خلال جلسات النادي يمكن اكتشاف حالات الضياع مبكرًا ولاسيما عندما يحضر النادي بعض الخدام مع أسرهم.

٢) الاحتياج المادي:

من أين يأتي الاحتياج المادي؟

الاحتياج المادي للشباب يختلف عن الاحتياج المادي للأسرة.. فاحتياج الشاب للمادة ناتج عن ضعف أو انعدام الإمكانات، وعدم وجود مصدر للدخل.. فالشاب ينتهي من دراسته فلا يجد عملاً يناسبه إلا بعد سنوات طويلة.. وحتى بعد أن يجد العمل عليه أن يتصدى للمعادلة الصعبة إذ كيف يحصل على سكن بعدة آلاف من الجنيهات وراتبه قد لا يتعدى بضعة عشرات من الجنيهات.. حقيقة أن الواقع الذي نعيشه الآن يختلف تمامًا عن الواقع الذي عاشه آباءنا.. في الماضي كانت فرص العمل والسكن متوفرة، أما الآن فالوضع أصبح مختلفًا تمامًا.. لذلك يرى الكثيرون نزول الطلبة

الجامعيين إلى ساحة العمل خلال الإجازات الصيفية، حيث يكتسبون مهارات في العمل وثقة في النفس، كما يمكنهم ادخار بعض المبالغ للاستفادة منها.

وهناك خبرة عملية ناجحة تثبت هذا.. ففي أحد الملاجئ التي تتسع لحوالي خمسين ولدًا ليس لهم بابا ولا ماما.. يقضون المرحلة الإعدادية في المذاكرة والترفيه، وعند دخولهم المرحلة الثانوية يسمحون لهم بالنزول إلى ساحة العمل خلال الإجازات الصيفية وأيضًا خلال فترة دراستهم الجامعية، وعلى مدار سبع سنوات يكون الطالب اكتسب مهارات في حرفة أو أكثر.. مثل أعمال المحارة والنقاشة والسباكة والكهرباء والسيارات...الخ. وعند انتهاء دراسته ودخوله الجيش ثم تسريحه منه لايعود إلى الملجأ بل يشق طريقه في المجتمع، ويترك مكانه لطفل آخر محتاج إليه.. وكل ما يقدمه الملجأ لهذا الخريج مبلغ ٥٠٠ جنيه عند الزواج وكثير منهم يرفضون هذا المبلغ..

أحد هؤلاء الأخوة يقوم بتوزيع الملابس بالجملة على المحلات.. ثم حصل على محل للتوزيع بالقطاعي مع الاحتفاظ بالتوزيع بالجملة وهو ناجح جدًا في حياته حيث بدأ نشاطه يتسع ويستعين ببعض العاملين معه.

شخص آخر أنهى دراسته من كلية التربية وعمل في مكتب كمبيوتر حيث تعلم وأجاد استخدام الكمبيوتر واقتنى بعض الأجهزة واستورد بعض البرامج المتطورة في تدريب الأطفال.. فيذهب إلى الحضانات المتقدمة ويتفاوض معهم في إحضار أجهزة الكمبيوتر الخاصة به وتدريب أطفال الحضانة بلا مقابل لمدة شهرين وعندما يثبت نجاح التجربة يتعاقد مع إدارة الحضانة.. اتسع نشاطه وأصبح له مكتب خاص وعدد ليس بقليل من العاملين على درجة عالية جدًا من الكفاءة والأدب، وأصبح له سيارة وشقة وارتفع مستواه المادي جدًا.. إنه مثال مشرّف حقًا..

ألا يصر الإنسان اليهودي على تعليم ابنه حرفة أو مهنة بجوار التعليم تحميه من العوز والانحراف..؟!

بقي أن نشير إلى نقطة هامة في هذا المجال وهي ضرورة متابعة الوالدين لأولادهم ويقظتهم.. قد يسقط الأبناء من سن صغير في عادة التدخين وقد لايجدون المصروف المناسب فيلجأون للسرقة.. أين يقظة الوالدين خلال فترات الدراسة والحرص من أصدقاء السوء..؟ وحتى بعد أن ينتهي الأبناء من دراستهم لا يصح أبدًا أن يتخلى الوالدين عن المتابعة بحجة أن أولادهم قد أصبحوا رجالاً يُعتمَد عليهم.. أيضًا في هذه المرحلة يبرز دور القادة الذين يجب أن يكرّسوا وقتًا أطول لهؤلاء الشباب.. يقتربون منهم

ويحاورونهم ويحبونهم ويوجهونهم إلى مجالات عمل أفضل ويتابعون أحوالهم الروحية.

أما الاحتياج المادي للأسرة فقد ينشأ بسبب سوء تصرف القائم بالصرف سواء الزوج أو الزوجة.. فعندما لا تضع الأسرة في حسابها أن مصروفاتها يجب أن لا تتعدى الدخل فحتمًا ستسقط في العوز والاحتياج والاستدانة ومد اليد وتتعرض السفينة للأمواج العاتية...

وقد ينشأ الاحتياج المادي للأسرة من ظروف طارئة تمر بها مثل المرض الشديد أو الكوارث.. وهنا يبرز دور الأقارب والأحباء والكنيسة لمداواة هذه الجراح حتى لا تتقيح وينتج عنها الأمراض السرطانية الخبيثة.

وفي مسألة الاحتياج المادي هناك أمور في منتهى الخطورة، مثل:

أ - **شيطان الشيكات (بدون رصيد):** عندما يوقع الإنسان على مثل هذه الشيكات يرقص الشيطان فرحًا لأنه ضَمَن الفريسة إلى حد بعيد.. فعلى الفريسة الاستسلام لأوامر الدائن أو دخول السجن..

ب- **المتاجرة باسم المسيح:** قد يسقط الإنسان في مشكلة أو مشاكل ويُلزِم نفسه بدين أو ديون، ومحبة في المسيح تتدخل الكنيسة وتوفي عنه الدين وتُمَزّق الصك المكتوب عليه سواء شيكات أو

كمبيالات أو إيصالات أمانة، وتقف بجواره تشد من أزره وتضحي من أجله.. ولاتمر إلا شهور قلائل وتجد العجب العجاب.. ماذا حدث..؟ لقد استمرأت الفريسة السقوط في براثن الأسد فتعود للسلاسل لتقيّد نفسها، وتعود للكنيسة تصرخ وتستجدي تطالب بإيفاء الديون الجديدة، وحل المشاكل التي استجدت.. وهلم جرا.. ومما يزيد من سخافة المشكلة سقوط النفس في عادة التبذير وعدم الحكمة، أو في الإدمان.. وهنا إن لم تجد النفس العلاج الصحيح فحتمًا ستهلك.

مثال عملي على هذا.. رجل يعيش في قرية صغيرة ويعمل في تجارة الفاكهة، ماتت زوجته بعد أن أنجبت له ثلاث أولاد وثلاث بنات.. فتزوج من الثانية التي أنجبت له ولدًا وبنتا.. كان حظه أفضل كثيرًا من سكان القرى الآخرين لأن بالقرية التي يقطن فيها توجد الكنيسة التي تخدم دائرة قطرها ٢٠ كيلومتر.. في كل مرة يدّعي الفقر تمد الكنيسة يد العون، وكذلك بقية مسيحيي القرية يستقطعون من أعوازهم ويعطونه ولاسيما أن غير المؤمنين يغرونه بالأرض والماشية وخلافه.. لم يؤسس أسرته على الصخر، فابنه الأكبر دخل الجيش وتخلى عن مسيحيته ومات وهو في الخدمة العسكرية، وعندما تقدم هذا الرجل ليصرف مكافأة ابنه الميت قالوا له ليس لك حق في الميراث..

ابنتـه الكبرى قـامت الكنيسـة بـالصرف علـى جميـع احتياجاتهـا للزواج، وبعد أن كان الرجـل موافقًـا علـى هذه الزيجـة فـي البدايـة تذمر في النهاية لأن الكنيسة لم تمنحه المقابل، وكأنه باع ابنتـه دون مقـابل مُجدٍ.. لهذا ظـل يحـرّض ابنتـه علـى زوجهـا ويغذيهـا بالسموم.. فماذا فعلت..؟ قدمت الشاي لزوجها وبـه المنـوم فشـرب ونام.. سكبت عليه الكيروسين وأشعلت فيه النار.. وانظر يـاصديقي إلى غلاظة قلبها فإنها أغلقت باب المنزل من الخارج بعد أن هربـت سريعًا.. فاق الرجـل مـن أثـر النيـران المشتعلة فيـه.. أخـذ يصـرخ ويـدق البـاب.. كسـر الجيـران البـاب عليـه ونقلـوه إلـى المستشـفى، وانظر أيضًـا يـاصديقي إلـى محبتـه الخالصـة فإنـه لـم يتهم زوجتـه بحرقه.. خرج من المستشفى بعاهات صعبة مستديمة.. أما الزوجـة التي هربت إلى أبيها، فماذا فعلت..؟

لقد خرجت بحجة العمل وسارت علـى حـل شـعرها ولـم تصغـي لنصيحة الكنيسة وأبناء القرية المخلصين الذين طالما قدموا المعونـة لهـا ولأسرتها، وعندمـا شـعرت أن هنـاك محـاولات مـن الكنيسـة وبعض المخلصين للصلح مع زوجها هربت واختفت مع أحد الشبان غير المسيحيين، وبعـد شـهور كثيرة عـادت وظهـرت فـي القَرْيـة ومعها عريس الغفلة.

أما هذا الرجل الرديء فلم يكف عن الطلبات ولم تقصّر معه الكنيسة ولا أهل القرية والأمر المحزن أنه يأخذ المبالغ ويُحضر أصدقائه من غير المسيحيين يقدم لهم السجائر ويلعب معهم القمار.. وتلذذ بالمتاجرة باسم المسيح.. أخيرًا ماذا فعل..؟ لقد تقايض مع غير المؤمنين مقابل نفسه وأسرته بالكامل.. بدأ هو بإنكار مسيحيته وسحبوه من قرية إلى أخرى يجمعون له المال ولا يعطونه إياه.. لماذا..؟ لأن زوجته لم تستجب للضغوط وذهبت إلى أمها مع ابنها وابنتها، وولديه الشبان رفضوا السير في ركابه وتركوا له المنزل.. لهذا لم يعطوه إلا مقابل نفسه فقط مالم يسد عينيه وأخذ أصحابه باقي المبالغ.. مرت شهور وعاد إلى الكنيسة بدموع التماسيح يطلب زوجته وأولاده.. هذا بعد أن زوجوه من سيدة أخرى سيئة السمعة وتنازل لها عن كل شيء، المنزل والعربة الكارو بالحمار.

٣) مشاكل الأحوال الشخصية:-

"ما جمعه الله لا يفرقه إنسان" مت١٩:٦

عندما يتخلّى الإنسان عن وصية الإنجيل هذه..

وعندما ينسى أنه وزوجته قد جمعهما الله في جسد واحد..

وعندما يتخاذل أحدهما أو كلاهما في احتمال ضعفات الآخر بصبر كبير..

وعندما يعطي كل طرف الفرصة للشيطان لكيما يضخم عيوب الآخر..

وعندما يرفض الطرفان الخضوع للآباء..

وعندما يتهم كل طرف الأب الكاهن بأنه مُتحيِّز للطرف الآخر..

وعندما يسمحون لأنفسهم بالالتجاء للقضاء الأرضي الذي يفرّق ولا يجمع..

عندئذ يرقص الشيطان رقصة الخراب والدمار.

ويعود كل طرف إلى الكنيسة يطالبها بتحطيم وصية يسوع، والسماح له بتكرار الزواج وإلا فالآباء ظالمون.. ولا داعي لهم.. ولا للكنيسة.. ولا للمسيحية.. ويسرعون بعيدًا بعيدًا يركضون نحو الهاوية.. يا إلهي من ينقذ مثل هذه النفوس؟!

٤) البساطة العبيطة:

قد لا تُعاني النفس من جوع عاطفي، ولا تعاني من احتياج مادي، وقد تعيش هذه النفس في جو أسري مستقر، وقد لا تكون بعيدة عن الكنيسة، وقد تتمتع ببساطة وصفاء الذهن.. لكن يا للحسرة فإن هذه النفس مُعرَّضة للهلاك بسبب البساطة غير الحكيمة أو قُلْ البساطة العبيطة.. ولنأخذ مثلاً على هذا:

أحيانًا تتطور العلاقة بين زميل وزميلة فتتخطى علاقة العمل والزمالة إلى العلاقة الشخصية.. فعندما يلتقيان يشعران بنوع من

الراحة وهما لا يدريان أن هذه الراحة هي الطُعْم الذي يَلقي به الشيطان المدبر لإصطياد الفريسة.. ومما يَزيد الطين بلة إذا كان الاثنان يفرقهما واحد فيحاولان الالتقاء ذهابًا وإيابًا، والثعلب يقدم للفريسة الطُعْم يومًا فيومًا.. هذا الطُعم الذي لم يصل بالنفس إلى الحياة المستقرة المطمئنة لا في السماء ولا في هذه الأرض.. وما هذا الطُعم إلا مزيد من المودة.. مزيد من العطف.. مزيد من الاهتمام الكاذب.. مزيد من الحب الخادع.. مزيد ومزيد ومزيد.. هذا يمثل وسيلة مواصلات سريعة للموت.. أما لو كان الذئب يمتلك سيارة والفريسة تسمح لنفسها بالركوب معه بحجة زحمة المواصلات التي لا تُطاق، وفي نفس الوقت قد تعيش في الأحلام الوردية وهي بجواره وتحت يدها السيارة.. فهذا يمثل وسيلة مواصلات فائقة السرعة للموت.. وإذا كانت الفريسة يحكمها مبدأ الاستفادة فدائمًا تحب أن تستفيد أي شيء من أي شخص، فالصياد لن يبخل عليها بمزيد من الطُعم في شكل الهدايا والعطايا وبهذا يضمن أنها لن ترفض له طلب.. وهذا يمثل وسيلة مواصلات مضمونة للهلاك.

أما عن الأمثلة العملية للبساطة العبيطة فكثيرة، نذكر منها الآتي:

أ) شاب كان يهوى منذ طفولته الهروب من أسرته المتدينة ومن مدرسة الفرنسيسكان إلى أقاربه بالقاهرة.. فشل في دراسته ولم

يحصل على الإعدادية.. أوهمه البعض بأنهم سيزوجونه من أخت أحد الشخصيات المرموقة، ورغم أن هذه الفتاة جامعية وتتمتع بقسط وافر من الجمال إلا أنه ببساطته العبيطة صدق ما قيل له..

بدأ ينصاع لكلامهم لولا تدخل أصحاب الخير من المسيحيين وغير المسيحيين حيث أعادوه إلى أبيه الذي كان يبكي وينتحب ويقبّل الأقدام.. ولم تمر سنوات قلائل حتى عاد هذا الابن إلى انحرافه فأنكر مسيحه، وإذ به يُفاجأ بأن الوعود البراقة كلها كذب وخداع ووصل به الحال إلى عمله كتبّاع على سيارة نقل يحملها ويفرّغها وينام فيها فأصبحت ملابسه رثّة وطال شعره وطالت أظافره.. وبعد أن تمررت حياته عاد بمعجزة فتغيرت حياته وأصبح سائقًا على تاكسي وتزوج واستقرت حياته لكنه لم ينس قط هذه الخبرة المُرّة في حياته.

ب) شابة بسيطة من وسط شعبي طلبت منها جارتها غير المسيحية مساعدتها في نظافة وفرش شقة أخيها العريس.. استجابت لطلبها ببساطة عبيطة وذهبت مع مجموعة كبيرة إلى الشقة.. وبعد وقت قصير وبينما تفرش حجرة النوم، بدأت المجموعة تنسحب واحدة وراء الأخرى بأي حجة كانت ووجدت نفسها منفردة مع شقيق العريس الذي أخذ يلاطفها ويحدثها عن شقيقه العريس وحبه

للعريس.. وانتقل بالحديث إلى نفسه وأمنيته في الزواج منها، ونجت من هذا الموقف بصعوبة بعد أن أخذت درسًا لن تنساه.

جـ) جاء إلى الأب الكاهن وهو يفتح فمه فتبدو آثار أسنانه المهشمة.. ثم يكشف عن ظهره فإذ بآثار الجلدات والتعذيب واضحة جدًا.. وعندما سأله الأب الكاهن ماهذا يابني، وما الذي حدث لك.. قال:

منذ عشرين عامًا كنت في الخدمة العسكرية، واستقطبني أحد الضباط غير المسيحيين الذي كان يستغل مهارتي في النقاشة ويغدق عليّ بالإجازات.. ثم قال لي: يافلان أنت خسارة في المسيحيين.. وسهّل لي طريق ترك المسيحية جدًا فالموضوع لايتعدى إلا توقيعي على وريقة صغيرة.. ولبساطتي وافقته وقلت في نفسي هذه مجرد توقيع على ورقة ترضي قائدي هذا ولن يطّلِع عليها إنسان من معارفي، وأنا أولاً وأخيرًا مسيحي وسأظل هكذا.

انتهت فترة تجنيدي ونسيت تمامًا ماحدث.. دارت الأيام وتزوجت وأنجبت حتى جاء ذلك اليوم المشئوم.

لقد أرسل إليّ بعض أقربائي في الصعيد لاستخراج مستخرج من شهادة الميلاد، فأرسلوه في خطاب تسلمته زوجتي وفضته فإذ بالاسم مختلف وكذلك الديانة.. ببساطتها العبيطة أخبرت جيرانها غير المسيحيين وهي تستهزئ بالأمر، فشكوا في الأمر.. وعندما



حضرت إلى المنزل وجدتهم في انتظاري.. فاجأوني بالخبر ولبساطتي العبيطة اعترفت وقلت لهم هذا موضوع قديم وكان مجرد توقيع على ورقة ولكني أنا لم أتغير في شيء.

لم تمر ساعات حتى سمعت طرقات على الباب ففتحت وإذ بي أمام شاب لا أعرفه يرتدي جلبابًا ويطلب مني الهبوط إلى الشارع.. هبطت معه وإذا بي أمام جماعة من الشباب جذبوني بقوة ودفعوني داخل تاكسي حيث انتقلوا إلى مكان بعيد فأوسعوني ضربًا وتعذيبًا وأنا أصر على موقفي.. نقلوني من القاهرة إلى جماعة أخرى بالقرب من مرسى مطروح حيث عملت سائقًا لسيارة نقل ومعي اثنين يحرساني، ذهبت معهم في مأمورية إلى الإسكندرية وترجيتهم أن يتركوني حرًا لمدة ساعتين وسأعود إليهم.. حنن الله قلبهم وتركوني فأسرعت وكأني أركض إلى مزار أبونا بيشوي كامل أتشفع به مع البابا كيرلس ليخلصاني من أسري.. وهنا تذكرت مزمورين كنت قد حفظتهما بإرشاد من أحد الآباء القديسين لأنني بعد تسريحي من الجيش كنت أعمل سائقًا معه.. عدت إليهم وأنا أصلّي مزاميري، وكلما دخلت إلى القائد أتلو المزامير في سري فيشعر بضيق واختناق ويطردني من أمامه.. لم تمر أيام قلائل حتى أمرهم زعيمهم بطردي فطردوني فاستقليت سيارة نقل من مطروح

إلى الإسكندرية وها أنا أتيت إليك نادمًا أشد الندم على إنكاري للمسيح ولو بدون قصد.

٥) التشكيك:

إن كانت النفس لا تعرف أمور دينها، ولا تهتم بهذه المعرفة فالحياة الدينية بالنسبة لها تأتي على هامش حياتها.. فهي مسيحية بالميلاد فقط.. هذه النفس المسكينة متى جاء لها الشيطان المُشكِّك ومنحته آذانًا صاغية فحتمًا سيسقطها في الشك وبسهولة فائقة يقودها من الشك إلى الهلاك.. ومثال على ذلك يقف الشيطان في شكل إنسان أمام الفريسة ويبدأ بأسئلة التشكيك التي تبدو وكأنها بريئة مثل: من يضمن أن الكتاب المقدس خلال آلاف السنين لم يتعرّض للتحريف والتغيير والتبديل والتزوير سواء عن قصد أو بدون قصد..؟ مامعنى المسيح ابن الله.. هل الله يتزوج وينجب..؟ وهل المسيح هو الله أو ابن الله..؟ وكيف يكون المسيح هو الله ويوجد في دورة مياه.. أو يُضرَب من العبد..؟ وأين كان أبوه عندما ضربوه وصلبوه..؟ وعند موته من كان يدير الكون..؟ وهل كان الكون بدون إله..؟ كيف يكون الله واحد وثلاثة في وقت واحد..؟ هل تعتقد أن ملايين الناس الغير مسيحيين سيهلكون..؟ وما ذنبهم إن كانت أعمالهم صالحة ولكن الله خلقهم هكذا..؟ وكثير من لأسئلة مثل هذه..

آه.. لو كلّف الإنسان نفسه وتوجه إلى المكتبات الدينية لوجد عشرات الكتب التي تُجيب على هذه الأسئلة البالية التي عفى عليها الزمن.. وقد أُثيرت مرة ومرات وتم الرد عليها مرات عديدة.

ومن هذه الكتب مجموعة إيمان كنيستنا، وكثير من كتب الأنبا يؤانس المتنيح، وقداسة البابا، والقمص عبد المسيح بسيط وكثيرين غيرهم.. هذه الأسئلة لها إجاباتها المعروفة والواضحة والقوية عند ملايين المسيحيين في العالم كله.

ولكن هناك نقطة يجب الإشارة إليها، وهي أنه ليس من الضروري أن أي إنسان مسيحي يعرف إجابة جميع الأسئلة المثارة ولكن هناك متخصصين في الرد على هذه الشكوك وليس من الضروري أن يكون كل إنسان مسيحي أستاذًا في العلوم اللاهوتية ولكن المطلوب أن يكون ثابتًا في الإيمان المسيحي.. لذلك متى تعرضت ياصديقي إلى هؤلاء المشككين لاتتجاوب معهم على الإطلاق.. فإن كنت في الدراسة ووجدت أحد الطلبة أو أحد المدرسين يهاجم ويشكك يجب أن توقفه بأدب قائلاً: هذا مكان للدراسة وليس مكان لمناقشة قضايا الدين، وإن كان لك تساؤل يمكنك أن تتقابل مع أحد الآباء الكهنة لتفهم ما تريد وتدرك مالا تدركه.

ومن وسائل التشكيك أيضًا الادعاءات الكاذبة التي تظهر بين الحين والآخر مثل الادعاء بظهور بعض المخطوطات التي تناقض الإنجيل، أو وجود تسجيل صوتي لأحد الرتب الكنسية بعد أن ترك مسيحيته، وهكذا.... .

٦) ضعف الشخصية:

الضعيف الشخصية يستسلم سريعًا لرغبات الغير..

كان هناك شاب من أسرة طيبة يحب أسرته جدًا وليس لديه أي ميول خاطئة كما أنه يتمتع بقسط وافر من الوسامة والأدب والخجل.. جاء تجنيده في منطقة بعيدة، وتعرض لبعض الضغوط من أقرانه ولاسيما أنه المسيحي الوحيد في السرية ولكيما يرضيهم وافقهم على تقديم طلب للمخابرات العسكرية حتى يتخلى عن مسيحيته، ففرح به القائد وأقرانه واستدعوه في المخابرات ليقفوا على حقيقة الأمر، ومر على أسرته بالإسكندرية وتقابل دون أن يقصد مع أحد الخدام الذي سأله عن أحواله في الجيش فقص له ماحدث.

صحبه الخادم إلى الأب الكاهن الذي حدثه عن السيد المسيح الله القوي ضابط الكل صانع المعجزات؛ وعن كنيسته وأسرته التي لن يستغنى عنهما وأن مدة الجيش مهما طالت فهي قصيرة وستنقضي سريعًا، وعندما وقف على حقيقة الأمر توجه بقلب ثابت إلى

المخابرات يعلن ما تعرض له من ضغط ثم عاد إلى وحدته وعاش مكرمًا بشخصية قوية شاهدًا لمسيحه.

٧) التسلية:

كثير من الشباب والشابات يحبون أن يقضوا أوقاتهم في شِلَلٍ ومجموعات ليس لهم همٌ إلا التسلية غير البريئة.. يقفون على نواصي الشوارع يعاكسون ويتعاكسون، يفرحون بركوب سيارات الغير، ولا يفيقون إلا بعد حدوث الكارثة.. والأمثلة على ذلك كثيرة:

أ) شاب يعيش في جو كنسي خدعته إحدى الشابات غير المسيحيات وسحبته إلى شقة خالية بمنطقة العجمي وعندما شرع في الاعتداء عليها استيقظ ضميره فلم يقوى على إتمام الشر، ورغم هذا فقد اتهمته بأنه أفسد عفتها وأنها حامل ويجب تغطية الجريمة بالزواج منها.. ورغم أنه متأكد من براءته إلا أنه ارتعب ولم يجروء أن يصارح أحد بما حدث، والبنت تطارده.. فاضطر للالتجاء إلى أحد الآباء الكهنة الذي أشار عليه بأن يترك أسرته ويذهب إلى أحد أصدقائه، وإذا سعت هذه الفتاة وراءه يرفضها ويهملها.

وفعلاً ترك أسرته وعاش مع أحد أقربائه في مكان آخر.. وأيضًا سعت الفتاة وراءه فقابلها بشدة مصرًا على موقفه وقال لها أنا لم

أعتدي عليك فإذا كان لك علاقات مع آخرين فلن أتحمل نتيجتها، ثم أنني ليس لي في موضوع الجنس نصيب.. وللوقت تغيرت وابتسمت وحاولت خداعه للمرة الثانية، قائلة: هل أنت صدقت قولي..؟ إنني أضحك معك والحقيقة أن مادفعني لهذا حبي لك.. ولكنه رفضها وتجاهلها وأصر على موقفه حتى انصرفت عنه ونجا من الفخ الذي أمسك به.

ب) أنهى الشاب دراسته في كلية الطب وذهب مكلفًا بالعمل في إحدى مستشفيات الصعيد.. تسلطت عليه مُمرضة واستهان هو بالأمر وظن أنها تسلية ظريفة ووقت لطيف.؟ لم تكن هذه الممرضة بهذه السذاجة لكنها نصبت له المصيدة واصطادته لنفسها، إذ وهي مختلية معه أعدت كمينًا وتم ضبطهما، والأمور سارت بسرعة جنونية إلى الوضع الذي لم يفكر فيه طوال حياته ولم يتخيله.. سقط وأنكر مسيحيته.. أرسل خطابات عديدة إلى أسرته يعلن فيها عن ضياعه وضياع كل شيء بالنسبة له، الأسرة والأصدقاء والكنيسة، والملكوت..

ومن كثرة التهديدات الواقعة عليه لم يجرؤ على الهرب من المصيدة.. مات والده الذي كان مرتبطًا معه بعلاقة حب في منتهى القوة ولم يحضر جنازته.. وما زال في الأسر.

جـ) سيدة شابة جميلة جدًا ومتحدثة ولبقة.. قصدت الأب الكاهن تحكي قصتها:

اعتادت هي وأختها الخروج للتسلية.. وتعرفا على شابين غير مسيحيين واستطاع الشيطان أن يربطهم معًا وقد ساعد على هذا بُعدها عن الحياة الروحية والجو الكنسي، رغم أن سكنها لايبعد كثيرًا عن الكنيسة.. دبر الله للأخت الكبرى ظروفًا حسنة إذ تخاصمت مع الشاب الذي تحبه، وانفصلا فانصلح حالها واستقرت أمورها وتقدم لها أحد الشبان الممتازين فخطبها ثم تزوجها.وخلال هذه الفترة حاولت أن تنقذ أختها الصغرى ولكنها أصرت على العناد والمكابرة، وكانت النهاية المأساوية.

تركت هذه الشابة المسكينة مسيحيتها وتزوجت بالشاب الذي تحبه.. وعاشت في نشوة الانتصار والافتخار وكأنها صنعت نصرًا عظيمًا.. وللأسف وصل بها الخداع إلى أنها كانت متأكدة تمامًا تمامًا بأن زوجها يحبها إلى ما لانهاية، ومن عاشر المستحيلات أن ينشغل بأحد غيرها، وأنها تمتلك المقوّمات التي تملك بها قلب زوجها من عذوبة الحديث والجمال الصارخ والاهتمام به...الخ.

مرت الأيام وأنجبت ولي العهد وما لم تتوقعه على الإطلاق قد حدث.. إذ بدأت تظهر فتاة أخرى في حياته مع أنها أقل جمالاً كثيرًا.. وعندما كاشفته أصر على رأيه واعترف أنه قد تزوجها

وهذا حقه.. ثارت وهاجت وماجت وأرادت الانفصال عنه، فقابل ثورتها بالقسوة والضرب.. وإمعانًا في إذلالها جعلها تعيش مع ضرتها..

فكرت في طلب الطلاق عن طريق المحكمة لأنه تزوج المرة الثانية بدون علمي وبدون موافقتي ولكنني اكتشفت أن زواجه الثاني عُرفي ويصعب علي إثباته.. إنني ياأبي أحترق بنيران الندم..

جلس الأب الكاهن يحدثها عن المسيح، قوته وحلاوته.. فهو مسيح المعجزات وكل مجريات الأمور في يده، وهو مسيح الخطاة.. فهو الراعي الصالح الذي لايكف عن البحث عن الخروف الضال، وهو الذي سمح بالزواج الثاني لفائدتك.. أنت من هذه اللحظة مسيحية فقط يلزمك تقديم توبة قوية بندامة ودموع ولنبدأ بأسبوع صوم وصلاة.. وثقي أن الله سيفُك سجنك مادمت تثقين فيه.. أما زوجك فلم يعد زوجك تستطيعي أن تخدميه وتجيبي طلّباته ولكن اشعريه بأنك معذبة ومسجونه لم يعد لك حياة معه.. وقطعًا الله سيتمجد في حياتك.

٨) التمرد:

قد تتمرد النفس على البيئة التي تعيش فيها، وترفض الأشخاص الذين يعيشون معها، ولا ترضى بالواقع، ولا تقتنع بالإمكانيات.

والتمرد مرض يصيب النفس.. فقد تكون أحوالها أفضل مئات المرات من ظروف أنفس كثيرة تعيش في رضى وجهاد وتصل للملكوت بينما تظل هذه النفس تنحدر في ممر التمرد إلى أن تستقر في هوة الهلاك.. ومن أمثلة ذلك:

أ) سيدة جامعية تعمل في وظيفة مرموقة، ومرتبطة ظاهريًا بالجو الكنسي.. تمردت على زوجها فنشبت المشاكل بينهما على مدار سنوات طويلة تتعدى عليه بالضرب والعض وتحاول مرارًا وتكرارًا ضربه ضربات قاتلة.. ورغم أنها رزقت بولد وبنت - وكانت تستطيع أن تُأقلم حياتها وتُكرّس وقتها لأولادها وتعيش حياة مستقرة ولاسيما أن الإمكانيات المادية للأسرة ممتازة - انحرفت هذه السيدة وأخذت تتنقل من شاب إلى آخر حتى ضُبطَت في إحدى المرات وحُرِر ضدها محضر آداب، وللبساطة العبيطة التي يتمتع بها زوجها لم يدرك ما يدور حوله.. وأخيرًا سارت مع شاب أصغر منها سنًا وأنكرت مسيحيتها وعاشت معه، وقد انتزعت الأبناء من أبيهم لحضانتها.

وانظر يا صديقي إلى قمة التجبّر والتمرد إنها تطالب زوجها بنفقة شهرية أربعمائة جنيهًا للأولاد، وتطالبه أيضًا بأن يترك لها شقته المتسعة.. وجرت مفاوضات طويلة بينها وبين زوجها في وجود عدد من الآباء الكهنة، والعجيب أنها كانت تصّر على

حضور الشاب الذي تسير معه ليتفاوض باسمها، ويتظاهر بأنه مستعد أن يخرج من حياتها ولكنه يريد فقط الاطمئنان عليها.

ب) بنت تعيش في أسرة بسيطة وتتمتع بقسط وافر من الجمال في المرحلة الثانوية ولبس لها ميول خاطئة لكن مشكلتها التمرد على الواقع الذي تعيشه وتتساءل لماذا لايكون لدينا إمكانات أكبر وسيارة وغيره..؟

بسبب هذه التطلعات توافق على ركوب سيارة أي شاب، وبالتالي تتعرض للمعاكسات السخيفة.

ساءت حالتها وتركت منزلها أربع مرات وتعرضت للضياع حتى يئست الأسرة من إصلاحها.. ذهبوا بها إلى الأب الكاهن الذي أظهر اهتمامه الشديد بها فكلف إحدى الخادمات بصحبتها وشراء ملابس قيّمة لها، وأيضًا أوصى بعض الأسر الأمينة التي تمتلك سيارة باصطحابها معهم في زيارة الأديرة والفسح العامة.

أرض المعركة:

يُدير الشيطان المدبّر المعركة على أرض متسعة.. فالشيطان المدبر يطارد الفريسة ويحاول اصطيادها سواء في أماكن الدراسة أو العمل أو السكن أو حتى وسيلة المواصلات.

١) وسيلة المواصلات:

قد يكون الثعلب جالسًا في وسيلة المواصلات ويرسل نظراته الماكرة فيقع بصره على فريسة يتوسم فيها سهولة الاصطياد.. فيتفنن في بدء الحديث معها.. قد يدعوها لتجلس مكانه.. وعندما يتكرر اللقاء وتتكرر الجلسات يبدأ الحديث بسيطًا عن أمور عامة، وسريعًا ما ينتقل إلى الأمور الخاصة ولاسيما عندما تقدم الفريسة تجاوبًا مع الثعلب الذي يحاول تقديم خدماته فيدفع لها ثمن التذكرة، وعند الزحام يحاول أن يظلل عليها ويحميها من الذئاب البشرية وهو الذئب الشيطاني. وما أن يمر وقت قليل إلا ويتعرف الذئب على الفريسة وظروفها ويُعرّفها على ظروفه.. **وتبدأ الخطوة الأولى.**

أما استقلال التاكسيات الخاصة فإنه يمثل خطورة كبرى للشابة التي تكون بمفردها.. فقد تتعرض للسرقة وأحيانًا للاختطاف والاغتصاب.. وما أكثر حوادث التاكسيات، أذكر منها حادثة بسيطة:

استقلّت اثنتان من الخادمات تاكسي من منطقة جناكليس إلى العصافرة وكانت إحداهن يعلو صدرها صليب جلد وكان السائق ينظر إليهما شذرًا.. وفي مكان هادئ انحرف السائق بهما وهبط من مكانه بعد أن أوقف التاكسي، واستل عصا وأشهرها في وجههما

وانهال عليهما بالشتائم والسباب وطردهما من التاكسي وهددهما بأنه إذا رأى مرة أخرى إحداهما تلبس صليبًا فلن يحدث لها خيرًا.. أما الخادمتان فحمدتا الله كثيرًا لانتهاء الموضوع عند هذا الحد، وتعلمتا أن تستعملا المواصلات العامة فهي أكثر أمانًا.

٢) أماكن الدراسة:

يتطلّع الذئب حوله.. وبعين الشيطان المدبّر يرصد الفريسة ويراقبها ويدرسها من على بعد، ثم يحاول أن يتقرب إليها.. يذهب إلى مكان الدراسة مبكرًا ليحجز لها مكانًا بجواره.. يسألها عن محاضرة فاتته ويستعير منها كشكول المحاضرات.. يحاول أن يجذب انتباهها فإما يظهر بمظهر اللطف والظرف أو بمظهر الاتزان والعقل الكامل.. يحاول أن يدخل حياتها ويتعرف على كل شيء ويستغل النقاط الضعيفة في حياتها.. فمثلاً يصور لها أنه معها في خندق واحد ضد تزمُت والدتها أو قسوة والدها أو شدة اخوتها، وفي نفس الوقت يُظهر لها ما يستطيع من العطف والمودة الزائدة الكاذبة مستغلاً المناسبات في تقديم الهدايا.. **وتبدأ الخطوة الأولى.**

ومن أمثلة ذلك الآتي:

أ) فتاة من أسرة كريمة تتمتع بقسط وافر من الجمال وهي طالبة بكلية الطب، عاشت قصة حب مع زميل لها غير مسيحي..

غذى الشيطان خيالها المريض فتصورت أنها لن تجد سعادتها بعيدًا عن هذا الحبيب.. فتقدم لها الكثيرين اللذين تتوافر فيهم كل المميزات المطلوبة.. وبمجرد الانتهاء من دراستها تركت أسرتها ومسيحيتها ولم تجدي معها محاولات الوالدين والأخوة والأقرباء والأحباء والآباء.. تزوجت منه وأنجبت طفلاً وكالعادة ما أن تزوجها وملكها حتى بدأت تتكشف لها عيوبه شيئًا فشيئًا.. إنها خدعة كبرى باسم الحب مع مخادع كبير استطاع أن يخفي شخصيته الحقيقية الأنانية فترة طويلة قبل الزواج.. وبدأت المشاكل تدب بينهما، واختفى الوفاق وتبخرت الأحلام الوردية.. ووجدت نفسها أمام الواقع المر، وكم كانت حسرتها عندما وجدت زميلاتها قد تزوجن وعشن حياة مستقرة هادئة، وأيضًا كان يعذبها عدم زواج أختها بسببها.. وأخيرًا بعد صراع رهيب هربت من هذه المصيدة.

ب) فتاة جامعية أبيها طبيب وأمها طبيبة، وعمل الوالدين كاد يتوقف بسبب هذه الفتاة.. لماذا..؟

إنها تصادق طالب مسيحي.. تحبه وتحاول الالتقاء معه كثيرًا، لذلك فوالديها يضربان حولها حصارًا.. يصاحبها إحداهما إلى الجامعة بالسيارة وينتظرها حتى تنتهي من محاضراتها.. فضاقت نفسها جدًا وذهبت إلى الأب الكاهن تشكو حالها.. كيف تشعر أنها داخل سجن كبير، وتحتج لديه على تصرفات والديها مع أنها تشعر

بالراحة عند الالتقاء بهذا الصديق وأن أفكارها متقاربة بل متفقة تمامًا معه في كل شيء، كما أنه لا يفعل شيء خطأ ولم يسيء إليها قط.. فلماذا يصرّ الوالدين على حرمانها منه..؟!

استمع إليها الأب الكاهن بقلب مفتوح، ثم بدأ يكشف لها عن حالتها قائلاً: يابنتي هذا الشاب الآن في مرحلة الدراسة ليس لديه التزامات ولم يتحمل المسئولية بعد.. عندما يجلس معك يُعيّشك في الخيال.. والخيال مشبع ومريح ولكنه يتصادم مع الواقع، وتكمن الخطورة في الآتي:

أولاً: يصعب عليك الارتباط به لأنه مازال في مرحلة الدراسة وحتى بعد أن ينتهي من الحياة الدراسية أمامه مشوار سنين طويلة من الجهاد والعمل الشاق حتى يكون مهيئًا للزواج.. هل ستنتظرينه عشر سنوات مثلاً..؟ ومن يضمن استمرار الوفاق مع طول المدة..؟

ثانيًا: جلوسك معه يجعلك تعيشين في الخيال وترفضين تحمل المسئولية، فمتى جاء لك عريس يطالبك بتحمل نصيبك من المسئولية عندئذٍ سيكون غير مريح في نظرك، وقد ترفضينه لأنه يختلف عن صديقك الذي عشت معه أحلى أيام الخيال.

ثالثاً: السمعة تطير بسرعة، والبنت ما هي إلا سمعة.. فهل تظنين أن رجلاً محترمًا مهذبًا كنسيًا يخاف الله يرضى أن يتقدم

لفتاة سمعتها مش ولابد..؟! إذن هذه العلاقة يابنتي معطّلة لحياتك، ويلزمك أن تثقي في محبة والديك، والاهتمام بحياتك الروحية لكي ما يكون ضميرك بالروح القدس هو الرقيب عليك عوض والديك.

٣) أماكن العمل:

تختلف الأمور حسب أماكن العمل.. فهناك العمل في الحكومة والقطاع العام.. وهناك العمل في القطاع الخاص.. وهناك العمل في القطاع المملوك لصاحبه، والشيطان المدبر يدبّر خططه ويوفقها حسب ظروف العمل المختلفة.

قد تعمل النفس في عمل حكومي أو قطاع عام في وسط وظيفي مستقر ووسط مجموعة كبيرة من الزملاء.. يرسم الشيطان المدبر خطته فينصب فخاخه ويلقي شباكه لكيما يوقّع الفريسة في حبائله.. ماذا يفعل؟ يدفع الشيطان المدبر أحد الزملاء للاهتمام بأمور الفريسة.. يحاول التقرب إليها ومساعدتها في العمل ولاسيما إن كان يفوقها في الخبرة، أو ضغط العمل عليها كبيرًا.. يخلق فرص الحديث معها ويلاطفها، وإن كان لديه سيارة يصحبها معه لتوصيلها إلى منزلها وإن رفضت في البداية يصحبها مع بعض الزميلات وفي النهاية يصحبها بمفردها.. ثم ينتقل الشيطان المدبر بالفريسة إلى مرحلة تالية أخطر وهي محاولة اللقاء خارج حدود العمل.. في

البداية بأي حجة كانت مثل التوجه إلى مصلحة أخرى لإنهاء أعمال مصلحية، أو التوجه لشراء بعض الاحتياجات بأسعار مغرية، وفي النهاية يتم اللقاء بدون حجة فها الأمور قد أصبحت واضحة واللعب على المكشوف.. **وتبدأ الخطوة الأولى.**

وقد تبحث النفس عن عمل في القطاع الحكومي أو العام فلا تجد، وأمام الاحتياج المادي أو النفسي للعمل تقبل العمل في القطاع الخاص.. وليس المقصود هنا القطاع الخاص بوجه عام ولكن المقصود القطاع الخاص الذي لا تتوافر فيه عناصر الأمان.. فمثلاً نفس تبحث عن عمل ويفتح الشيطان المدبّر بابه أمامها بعمل في القطاع الخاص، وتسرع هذه النفس بالدخول في هذا الباب المفتوح بدون تفكير وبدون تدبير.. قد تكون فكرت في مواعيد العمل والإجازات والمقابل المادي ووسيلة المواصلات، ولكنها لم تفكر في ظروف العمل، ولم تستشر الأمناء المحيطين بها ولم تهتم بأخذ رأي أب اعترافها.

وأخطر ما في الأمر عندما تجمع ظروف العمل هذه النفس مع رب العمل أو أحد العاملين على انفراد.. تصوّر نفس تعمل في محل تصوير أو محل بيع قطع غيار أو محل سلع معمرة أو صيدلية.. تجلس اليوم بطوله مع رب العمل أو زميل لها وهذه فرصة ثمينة لاشتراك طرف ثالث معهما وإن كان غير مرئي لكنه

يحبك شباكه في صمت ولا يكف عن العمل في هدوء.. إنه الشيطان المدبر.

ومثال على هذا الآتي:

أ) هو مهندس زراعي شاب هادئ من أسرة كريمة تزوج بفتاة جامعية جميلة من نسل الكرام وكان لهذا الشاب ارتباط بخدمة التربية الكنسية.. كان يَعمل في مجال السياحة وعندما ضُرِبَت السياحة أخذ يعمل في صيدلية مملوكة لشقيقته في حي هادئ.. فترت حياته الروحية وتخلى عن الخدمة وغفل عن خلاص نفسه فوجده الشيطان فريسة سهلة .. ووضع أمامه الطُعم.. فتاة رائعة الجمال أخذت تتردد عليه حتى سقط معها، واستغلّت الفرصة فضغطت عليه هي ومن حولها، وتحت الضغط والتهديد ترك أسرته ومسيحيته وعاش معها، ولا تتصور ياصديقي مدى قسوة الصدمة على أقربائه.. الأم أحشائها تتمزق عليه ولا تكف عن البكاء، حتى عند موت زوجها جاء هذا الابن يقف بجوارها فوجدها تبكي وتنتحب لا زوجها بل ابنها، وكانت كالشهيدة دميانة تتمنى لو سمعت خبر موت ابنها عن خبر إنكاره مسيحه وإلهه الحي، أما والد زوجته فتعرض لظروف صحية قاسية كادت تودي بحياته ولاسيما أنه رجل مشهور ومعروف على مستوى البلد ككل.. لم يكف الجميع عن سكب الدموع والصراخ لله بأصوام كثيرة حتى

حدثت المعجزة.. لقد أيقظ روح الله نفس هذا الشاب فوجد الجحيم مقابله، أراد الانطلاق بعيدًا ولكن عليه تسوية الحسابات التي كلفته مبالغ طائلة من شبكة زوجته، وشهادات استثمار قيمتها كبيرة وفدان من الأرض الزراعية وعشرات الألوف الأخرى التي دفعتها الأسرتين المكلومتين.. وأخيرًا طلّق هذه الزوجة وذهب إلى حال سبيله.. إلا أن الأمر لم ينتهي عند هذا الحد.. فبعد شهور فوجئ برفع دعوى قضائية ضده.. لماذا..؟ لأن هذه الزوجة أنجبت له ولدًا وتطالبه بنفقة، ولكن الرب رحمه إذ قبل أن تفصل المحكمة الأرضية في هذا النزاع فصلت فيه المحكمة السماوية إذ سمح الله بموت هذا الطفل رحمة بالنفوس المعذبه

ب- هي فتاة صيدلانية من أسرة كريمة مستواها الاجتماعي مرتفع جدًا، وتعيش بأحد الأحياء الراقية.. لها ارتباط بالجو الكنسي ولكن تضافر عليها عاملان أضاعاها أحدهما، البساطة العبيطة وثانيهما: مكان العمل.

عملت في صيدلية مملوكة لصيدلاني غير مسيحي مطلّق ومعه طفلين.. استطاع بحكمته الشيطانية أن يعيشها في مشكلته وهي بطبيعتها الخادمة تجاوبت معه لكيما تريحه وتخفف عنه، ولم تلتزم على الإطلاق بعلاقتها معه كعلاقة عمل لا غير، ولم تحذر الحية الرقطاء.. وصل الأمر بها للاهتمام بطفليه وكأنها أمهما، وضعفت

أمام محاولاته الشيطانية فسقطت معه في الخطية، ثم بدأ يشككها في إيمانها، وانتهت حياتها بمأساة إنكار الإيمان، وجرت وبالاً على أسرتها وعلى أحبائها.. ولا عجبَ أنه بعد شهور قلائل أرجع الزوج زوجته الأولى وصارت هي مثل آمة ليس لها قريب أو حبيب.

لا توجد نفس واحدة أنكرت مسيحيتها وجحدت مسيحها وطرحت صليبها إلا وذاقت عربون النار الأبدية على هذه الأرض.. ناهيك عن الوقوف أمام غضب الخروف..!

وقد يستغل رب العمل وسائل مختلفة للضغط على هذه النفس لكيما تستسلم لرغباته تارة بالضغط والشدة وتارة أخرى بالوعود البراقة المغرية، وأحيانًا يلجأ هذا الإنسان المنعدم الضمير إلى حيلة يُسقِط بها الفريسة في مشكلة مالية ضخمة وقد تكون هذه النفس مسئولة عن هذه المشكلة كليًا أو نسبيًا وقد تكون بريئة تمامًا، ولكن في النهاية يستغل الشيطان المدبر هذه الفرصة لكيما تستسلم الفريسة وتسقط في الهلاك.

وقد يكون هناك إنسان هو صاحب العمل.. فمثلاً يمتلك متجرًا أيًا كان ويترك زوجته أو ابنته في محل العمل لفترات طويلة و إذ بالشيطان المدبر يدفع بأحد العملاء أو الموردين الذي يكثر التعامل مع الفريسة .. ويتحول الحديث عن الأصناف والأسعار والجودة إلى الحديث عن الأمور العامة والأحداث الجارية والأسعار الملتهبة

ثم ينحدر الحديث نحو الأمور الخاصة، وتتطور الأمور العامة إلى أمور خاصة و يظل الشيطان المدبر ينصيب شراكه حتى تقع الفريسة المسكينة في حبائله.

مما يزيد الأمور خطورة عندما يتجه بعض المحبين الغيورين إلى أهل الفريسة يحذرونهم من وقوع المكروه فيفاجأون برفض الأهل لنصيحتهم.. بل يتهمونهم بأنهم يشوهون صورة ابنتهم الأمينة وابنهم الأمين.!!

مثال على هذا هذه القصة التي حدثت في السبعينيات.. الأب هنا هو السبب المباشر في المصيبة التي حلّت به وأضاعت ابنته منه.

تعرف على مدير جمعية تعاونية غير مسيحي، وتطورت العلاقة إلى دخول المدير بيت هذا الرّجل وأصبح كأنه بيته.. لم يتوقف عن تقديم خدماته لهذه الأسرة ومعارفها من الجمعية التعاونية.. وضع عينه على ابنة الرجل الطالبة بكلية الزراعة، وبحجة مساعدتها استطاع أن يجلس معها على انفراد، ويتودد إليها ويخدعها حتى بدأ يسحبها إلى لقاءات خارج المنزل.. كثيرون أسرعوا إلى والدها يحذرونه مغبة الطريق، وينذرونه بضياع ابنته على يد هذا المدير فلم يجدوا منه إلا آذاناً صماء وقلب مغلق وثقة عمياء في ابنته وفي المدير.. لم تمر إلا شهور قلائل حتى كانت هذه الابنة خارج أسرتها وخارج مسيحيتها، وماذا ينفع الندم بعد العدم..!

٤) أماكن السكن:

قد تبدأ العلاقات الأسرية، ويستغل الشيطان المدبّر هذه العلاقات أسوأ استغلال..

تبدأ العلاقة بتلبية الطلبات البسيطة بين الأسرتين، ويومًا فيومًا تزداد العلاقة وتشتد وفي المرحلة التالية تبدأ المجاملات والزيارات، ويتحين الذئب الفرص لكيما يختلس النظرات إلى الفريسة ويخلق الأحاديث الجذابة معها، ولا يفوته إظهار شهامته وخدماته واهتمامه ولاسيما في الظروف الطارئة سواء أحزان أو أفراح.. وأخطر ما في الأمر عندما يتغيّب رب البيت معظم الوقت عن المنزل أو سفره للخارج.. والطامة الكبرى عندما يوصي الزوج الفاضل هذا الجار الشهم على أسرته خيرًا.. فيظل هذا الجار الشهم يرعى الأسرة ويهتم بالكل ولاسيما الزوجة حتى تسقط في حبائله..

ومثال على هـــذا شخص طيب يتمتع بالبساطة العبيطة وثق في جاره الغير مسيحي.. توطدت العلاقة بينهما حتى أنه عندما أتته فرصة السفر للخارج لم يجد إنسانًا يأتمنه على زوجته وأولاده غير هذا الجار.. لم يفكر في أحد من أقربائه الأمناء، ولم يكلّف نفسه بالذهاب إلى الكنيسة وتوصية الأب الكاهن والخدام الأمناء.. سافر

ليعمل ويشقى ويرسل ما يستطيع أن يدخره إلى زوجته، والجار الغير أمين يدخل ويخرج على أسرة هذا الرجل المسكين بإذن منه.

يومًا فيومًا تولدت العاطفة غير المقدسة بين الجار الذي خان الأمانة والزوجة التي خانت زوجها، ولم تفكر في غربته وحرمانه وتعبه وشقاوه من أجلها.. وعندما كان يأتي زوجها في إجازة سنوية بسيطة تحتمله ولا تظهر له شيئًا لكيما تسلبه كل شيء.. وعندما مرت السنوات وفكر الرجل في العودة والاستقرار وهو يحلم بحياة سعيدة خالية من كل متاعب، فإذ به أمام الحقيقة المرة.. زوجته تتنكر له وتعلن عن الحقيقة المرة أنها زوجة للجار، وأخذت التعهد اللازم على زوجها حتى لايتعرّض لها.. أنكرت زوجها وأنكرت مسيحيتها وأنكرت بل سلبت أموال زوجها.. لا تتصور ياصديقي مدى تعاسة هذا الرجل الذي خرج من المولد بلا حمص وضاع كل شيء منه.. وهل الله يرضى بهذه السعادة التي بنتها هذه الزوجة وهذا الجار على حساب تصفية وقتل الزوج..!!

ثانيًا : الشيطان المُشَعلل

بانتهاء المرحلة الأولى يكون الشيطان المدبر قد اقتنص الفريسة وبدأ في إشعال النيران الشيطانية في قلب وفكر تلك النفس المسكينة.. يفرح الشيطان المدبر وأعوانه بالنفس التي بدأت طريق السقوط، ويصحبونها في زفة شيطانية صاخبة تصم الآذان وتفقدها القدرة على الاتزان.. تصل الزفة إلى ديار الشيطان المشعلل فيلقون بالفريسة في أحضانه، وكم تكون فرحته هو وأعوانه بتلك العروس البلهاء، يرحبون بها كثيرًا ويسرعون بتقديم واجبات الضيافة.. وفي هذا الضجيج قد يتحرك روح الله داخل تلك النفس ويحرضها على ترك كل شيء والهروب إلى مساكن النور، ولكن تلك النفس المتجبِّرة تُسكت هذا الصوت ولا تعطيه أذان صاغية.. كما أن الشيطان المدبر يحاول جاهدًا أن لا يعطي فرصة على الإطلاق للفريسة حتى تفكر، لكنه ينفخ في النار لئلا تنطفئ، ويسكب الوقود بغزارة حتى تشتعل تلك النيران أكثر وتشعلل وتعلو أكثر وأكثر.. والشيطان المشعلل يتفنن في أنواع الوقود وأشكالها، ومن هذه الوقود الشيطانية مايلي:

١) وقود السرية:

يبذل الشيطان المشعلل قصارى جهده لكيما يقنع الفريسة تمامًا بالاحتفاظ بسرية الموضوع يقنعها بأنها لم تعد صغيرة تحتاج إلى إرشادات ونصائح الغير بل قد أصبحت كبيرة ومسئولة عن نفسها وعقلها يزن بلد.

وسريعًا يقوم الشيطان المشعلل بتثبيت صور جديدة مشوهة في ذهن الفريسة لكل أقربائها ومحبيها والمهتمين بها.. وبعد أن يتأكد من ثبات هذه الصورة المشوهة في فكر وعقل الفريسة يسألها الشيطان المشعلل لمن ستبوحين بسرك ياعزيزتي..

هل لأبيك..؟

كلا..! إنه إنسان قاسي متجبر لايحب إلا نفسه ولايبحث إلا عن راحته.. لقد نصّبَ نفسه سيدًا وربًا للبيت وصيركم جميعًا خدمًا وعبيدًا له.. ألا يكفيكِ ما عانيتيه منه في صباك وشبابكِ..؟! ثم كيف سيكون رد فعله لو علم قصتك؟

لابد أنه سيندفع كعادته وربما يهجم عليك وينهي حياتك وهو أيضا تنتهي حياته بحبل المشنقة.. إذن ليس من الحكمة يا حبيبتي أن تُطلعية علي سرّك الدفين.

هل لأمك..؟

لا إنها رجعية تعيش في الجيل الحاضر بأفكار ومبادئ الجيل الماضي.. لاتفهم لغة العصر ولا تُدرِك روح العصر.. كم هي متزمّتة ولا تحترم الحرية الشخصية.. مسكينة هي.. لم تذق طعم الحرية والانطلاق من قبل ليس لها إلا عملها وبيتها وأولادها.. أنظري إليها جيدًا ياعزيزتي.. لقد انحنت بفعل سنين الانغلاق والانطواء.. إنها انطوائية رجعية متزمّتة منغلقة.. الخ.

هل لأخوتك..؟

كلا.. إنهم أشبال لوالدِك الأسد يحملون نفس الطباع، ودم الشباب يجري في عروقهم.. آه لو عرفوا قصتك.! يا حبيبتي تكتمي السر جيدًا وجدّي في سيرك لئلا تدركهم أخبارك قبل أن تدركين هدفك.

هل لأخواتك..؟

كلا.. إنهن يحسدونك ويغِرنَ منك ولا يحببن لك الخير.. ألم تشعري بنفورِهن منكِ ولاسيما في الأيام الأخيرة..؟ وكيف تتحدثين معهن وأنتِ لم تعودي تستريحي لأحد منهن؟

هل للأب الكاهن..؟

كلا وألف كلا.. فهو لن يحسّ بأحاسيسكِ ولن يشعر بمشاعركِ.. إنه متجمّد المشاعر والأحاسيس من كثرة ما عبر عليه من مشاكل ومتاعب الشعب.. ثم أنه دائمًا مشغول مشغول.. يا عزيزتي يكفيه

ما يلاقيه من مشاكل ومتاعب.. ألا تعلمين أنه لا يحل في مشكلة ولا يربط..؟ وماذا سيقول لك غير صلّي.. صلّي يابنتي.. وربما يرسل لك إحدى الأخوات تلاحقكِ في كل مكان ولن تحصدي منها إلا الملل والضجر.

ورغم أن الفريسة تقتنع بنظرة الشيطان المشعلل وتحاول جاهدة الاحتفاظ بالسرية لكن هل تنجح تلك النفس في هذا..؟

كلا.. بمجرد ظهور التمييز في المعاملة بين اثنين في مجموعة دراسة أو عمل لابد أن هذا يشد انتباه كل المجموعة.. ولو حاول الاثنان إخفاء الأمور أمام الزملاء، والتقيا بعيدًا عن المجموعة فأكيد أكيد لابد أن يُكتشف أمرهما، "لأنه ليس مكتوم لن يُستعلن ولا خفي لن يُعرف" (مت ١٠:٢٦)، والدنيا على اتساعها فهي صغيرة والأخبار سريعة الانتشار، والرائحة لابد أن تفوح لكيما تدل على مكان الجريمة.

منذ نحو عشرون عامًا وصل إشعار للأب الكاهن أن فلان يريد ترك مسيحيته، وفوجئ الأب الكاهن بهذا لأنه يعرف هذا الشخص هو وأسرته وعائلته.. أسرع إلى منزله فلم يجد أحدًا فذهب إلى منزل شقيقته التي دهشت من هذا الخبر، وأخبرت أبونا أن حياة هذا الأخ مستقرة تمامًا غير أنه اختلق بعض المشاكل مع زوجته منذ

أسبوعين بدون أي داعي، وأصر أن تترك الشقة فذهبت إلى شقة أختها المهاجرة للخارج.

أخذ الأب الكاهن هذه الأخت وذهبوا للزوجة التي أكدت كلام الشقيقة بأن زوجها ممتاز وأحوالهم مستقرة، وعندما علمت بالأمر ذهلت وقالت مافيش غيرها.. من هي..؟! أرملة غير مسيحية عندما مات زوجها قام زوجي بإنهاء إجراءات المعاش الخاصة بالزوج المتوفي، وهو يكثر من التردد عليها.

قالت الشقيقة إن أخي يحضر إليّ في الحادية عشر مساء كل ليلة ليتناول طعام عشائه وينصرف.. عاد أبونا معها إلى المنزل وانتظر حتى أقبل هذا الأخ فسأله أبونا عن أحواله ولماذا لايراه في الكنيسة..؟ فتعلل بكثرة مشاغله.. تكلم معه أبونا في بعض المواضيع قبل أن يدخل في الموضوع الرئيسي أما هو فكان كتومًا على الخبر تمامًا، ويصارع جاهدًا لكيما يحتفظ بسرية الموضوع.

وعندما لم يجد أبونا مناصًا من المواجهة؛ واجهه بالإشعار الوارد من مديرية الأمن.. كان هذا الأخ جالسًا بجوار أبونا، فما كان منه إلا أنه قفز من مكانه وركض إلى أبعد كرسي في الصالون وصرخ: يا أبونا لو عاوزنا نبقى أصدقاء اغلق على هذا الموضوع.. هذا موضوعي.. وهذه حرية شخصية.. وبدأ صوته يرتفع ونبرات صوته تتغير واحتدم واشتد في الحديث مع شقيقته.

احتمله أبونا والشقيقة والباقين بصبر كبير يحاولون كسب الموقف وهو يصرّ على عناده متعللاً بأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يؤدب بها زوجته.. ظل أبونا معه حتى الواحدة صباحًا دون جدوى فانصرف إلى بيته.

لم يكف أبونا عن الصراخ لله من أجل هذه النفس المسكينة ومن أجل هذه الأسرة.. وفي الصباح الباكر عاد أبونا إلى الزوجة واصطحبها إلى الزوج بعد أن اتفق معها أن تنفذ كل ما يطلب منها حتى تقبيل الأرجل.. كانت الزوجة متفهمة تمامًا الموقف لأنها تحب زوجها بإخلاص وتشعر أنه في ورطة ويجب أن تقف بجواره.

وصل أبونا مع الزوجة إلى بيت الزوجية فلاحظوا أن البيت مُزَيَّن وكأنه عيد أو حفلة عيد ميلاد مما يؤشر بأنه مقبل على زواج.. أخذت الزوجة تلاطفه ملاطفة لا حدود لها، وطلبت منه أن يؤدبها بأي طريقة أخرى ليطردها من المنزل ويطلّقها ولن تطالبه بنفقة أو غيره، وانحنت لتقبّل قدميه لكن هذا الرجل قد أصيب بالعمى الروحي تمامًا وانغلق قلبه.. فلم يبصر توسلات وانكسار الزوجة ولم يعر اهتمامًا لنصائح وتوسلات أبونا.

عاد أبونا بالزوجة إلى شقتها وأخذ يهدئها لأن الغضب بدأ يتسرب إلى قلبها.. ثم أرشد الله أبونا إلى تصرف أدى إلى رجوع هذا الأخ.. ماذا فعل..؟!

أخذ الزوجة وعاد للزوج في محاولة ثانية فلم يجدوه في الشقة فدخل أبونا وصلى على مياه واثقًا في قوة كلمة الله.. قم أيها الرب وليتفرق كل أعدائك.. بيوت صلاة بيوت طهارة بيوت بركة.. ومزامير وتضرعات ثم رش الشقة بالكامل بالمياه وانصرفوا.. وفعلاً كانت هذه الصلاة سببًا في عودة الخروف الضال.. كيف..؟!

لقد أكمل خطته وتزوج من هذه الأرملة وترك مسيحيته لكنه لم يقوى على احتمال قوة الصلاة التي أقيمت في هذا المكان أكثر من أسبوع، وكما يقولون أن هذه الأيام كانت مملوءة بالضيقة والمشاكل والاختناق ولم يجد راحة دقيقة واحدة وأخيرًا طردها وعاد إلى عقله وعاد إلى زوجته وأولاده الثلاثة.. عاد بندم شديد على ما بدر منه يقدم اعتذاره للجميع ويشكر الله الذي أنقذه من هذا الفخ.

٢) وقود التعمية:

تأثير هذا الوقود على الفريسة خطير جدًا.. فعندما يسكب الشيطان المشعل وقود التعمية عليها تفقد الرؤيا الصحيحة، والفكر يصبح مضطربًا.. من جهة الرؤيا لا تعُد الفريسة تنظر إلا في اتجاه واحد ولم تعُد ترى إلا طريق واحد هو طريق الهلاك.. وأما الفكر فيظلم تمامًا ويصبح مشلولاً لا يعمل إلا في اتجاه واحد.. اتجاه الهلاك.

واحسرتاه أيتها النفس المسكينة..

أين التمييز والحكمة والفهم والإدراك؟

لماذا تشبّهتِ بالحيوان فصرتِ مثل ثور عَصّب الجزار عينيه لكيما يقوده إلى الذبح؟

إلى أين تسيرين أيتها المسكينة؟

وفي أي طريق أنت تركضين؟

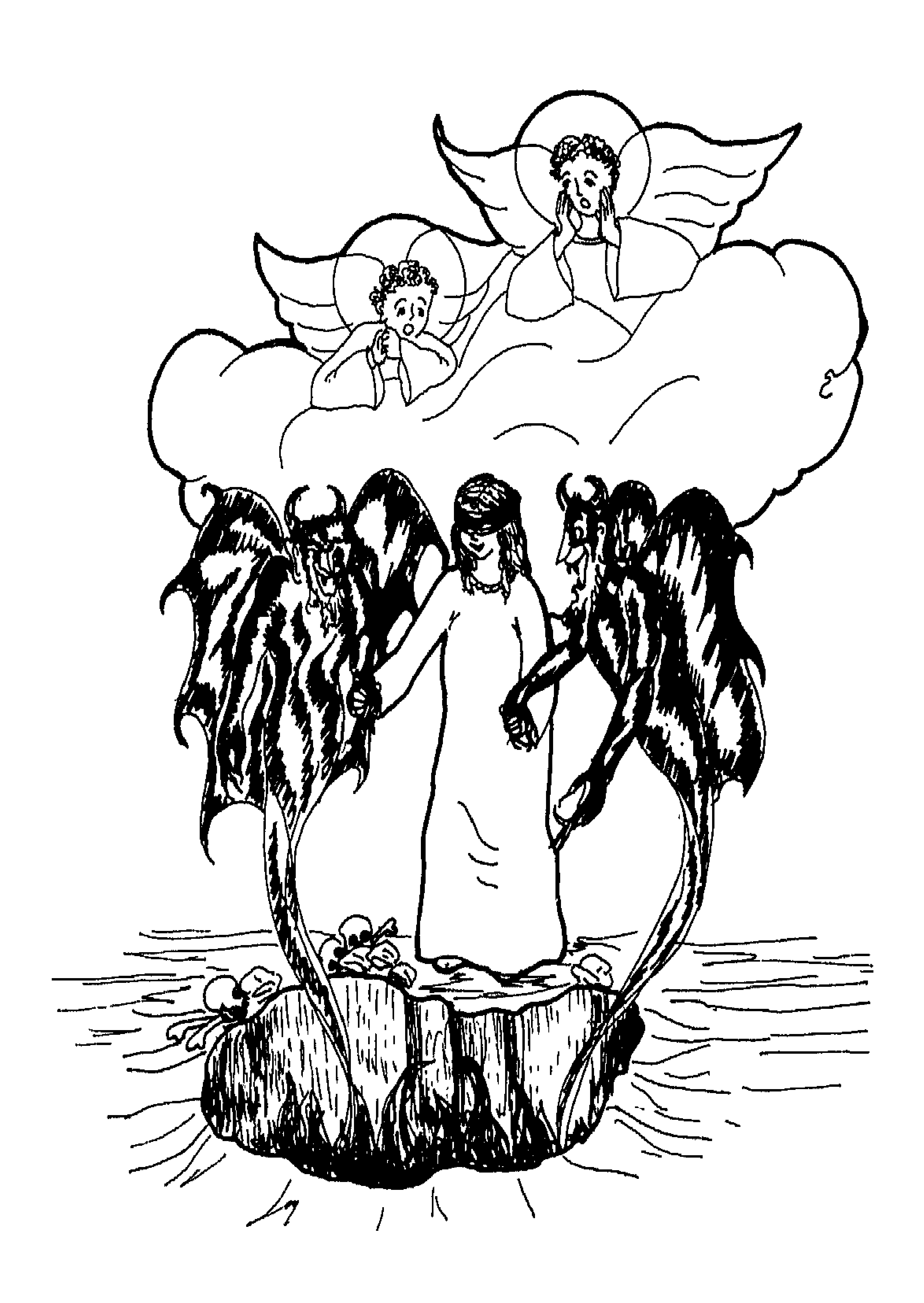
ومثال على هذا طالبة من أسرة ميسورة الحال، الأب والأم يكرّسان وقتهما لابنتهما وابنهما، جازت المرحلة الإعدادية بمجموع مرتفع.. كان هناك طالب غير مسيحي يأخذ معها دروس خصوصية تولّدت عاطفة غير مقدسة بينهما.. جاءت إلى أبونا تحدثه عن هذا الحب فأمضى معها وقتًا طويلاً يشرح لها الكذبة الكبرى التي يدعونها الحب.. هذا يابنتي ليس حبًا ولكنه ذاتية وأنانية.. لماذا..؟ لأن الحب يبني ويطلب فائدة الغير أما هذا الشخص فيريد أن يمتع نفسه هو ولا يهتم بسمعتك أنتِ.. أنا بحبك بدليل أني أرشدك وأتودد إليك وأتفاهم معك وأصغي إليك وأناقشك رغم ضيق وقتي، وفي نفس الوقت لا أطمع في أي كسب منك بأي صورة من الصور.. هذا هو الحب.. ولكن العلاقة بينك وبين هذا الشاب ليس حبًا ولكنه هدم لحياتك وأسرتك وأبديتك.. إنه ينهش في جسمك والنهش في جسم البريء كارثة.. إنه يهيج مشاعرك

وأحاسيسك ويصيبك بالأرق والتعب فلا تجدين راحة نهارًا أو ليلاً.. أليس كذلك..؟

إن هناك تشابه كبير بين الجنسين في هذه المرحلة والمخدرات..! فكل منهما يقتل خلايا المخ، والعجيب أن الساقط تحت وطأة هذه الكارثة يتصور أن الذي يأتي له بالمخدرات هو حبيبه الذي يحبه، أما الذي يمنع عنه الشم ويحاول معالجته فهو عدو له.. الذي يعتاد مثل هذه الأمور يفقد التمييز تمامًا بين الصح والخطأ.. يفقد اتزانه العقلي ويصير مثل المجنون، ولهذا شبه ربنا يسوع الخاطئ بالمجنون الأعمى والأخرس

استراحت هذه الابنة لهذا الأب الذي يكشف لها الواقع الذي تخفيه، فقالت له وأيضًا ياأبي إنه يدعوني لترك المسيحية والزواج منه فعلّق الأب قائلاً: ياابنتي هل تظنـي أن سنك هذا مناسب للزواج..؟! أنت بنت متفوقة في دراستك، فلماذا تهدمين نفسك..؟ وعوضًا أن تكوني شابة جامعية يقف تعليمك عند هذا الحد.. أنت أمامك مستقبل مفرح لماذا تهدمينه بيدك..؟ هل تضمنين أن هذا الحب يستمر بعد الزواج..؟ كلا ياابنتي فعن تجربة لاتوجد نفس واحدة تنكر مسيحها وتطرح صليبها وتجد راحة في حياتها.

هل تعلمين أين سيكون زواجك بهذه الطريقة ؟ ربما تعلمين ولكنني أقول لك أنه لن يتم خارج ثلاثة أماكن إما الشهر العقاري أو



المحكمة أو قسم البوليس.. وقطعاً لن يحضر أحد من أسرتك لا أبيك ولا أمك فكيف يكون موقفك..؟ وكيف تكون صورتك..؟ وكيف تكون نفسيتك..؟ وهل ستكونين سعيدة عندئذ؟

ثم هل هذا هو رد الجميل لأبيك وأمك؟

يا ابنتي هذا ذبح لبابا... تصوري نفسك قابضة على سكين تذبحين أبيك الذي يحبك.. وأمك.. هل نسيت إنك كنت جوه بطن ماما.. أنت من لحم ودم ماما.

لم تحتمل هذه الفتاة أكثر من هذا فقالت للأب الكاهن حقيقة يا أبي إنني أتيت لأجلس معك وأنا متأكدة أنني لن أتخلى عن موقفي.. أما الآن فقد اقتنعت تمامًا ولكن إرادتي عاجزة، فهل يمكن أن أعالج الموضوع خطوة بخطوة.. أقلل لقائي معه شيئًا فشيئًا..؟ قال لها الأب الكاهن: لا يا ابنتي، لماذا..؟ لأن خلال هذه الفترة سيهيج عليك عدو الخير أكثر، ويجعلك تشعرين بالاحتياج أكثر، وترتبطين به أكثر وأكثر.. الحل إنك تخرجين من هذا المكان مصممة تمامًا على اقتلاع الجذور وقطع العلاقة تمامًا، تعالي واندمجي معنا في الجو الكنسي والرحلات والخلوات وأنا تحت أمرك في أي وقت.

عندما يسكب الشيطان المشعلل هذا الوقود على الفريسة تتقلب في نظرها كل الموازين والمقاييس.. المحبون يظهرون أعداء، والمخلصون هم خونة.. أما المتآمرون فهم الأحباء المخلصون.

وعندما تنقلب المقاييس تصبح نظرة النفس سوداوية.. فالعلاقة مع الكنيسة والأسرة صارت منفِّرة، والطريق إلى الملكوت أصبح كريهًا، والمنزل أصبح سجنًا.. أيضًا عندما تنقلب الموازين يظهر طريق الموت وكأنه طريق للحياة الأبدية، وطريق الهلاك وكأنه طريق للنجاة، فهوذا كل الطلبات أصبحت مُجابة وجميع المشاكل محلولة، وهوذا كل شيء قد صار سهلاً سهلاً.. حتى الضمير صار متسعًا لمرور جمل، والعلاقة مع الله لم تعُد إلا شكليات.

٤) وقود فقد التوازن:

يسكب الشيطان المشعلل هذا الوقود على النفس المسكينة في شكل كلمات المديح والإطراء ونظرات التشجيع وحفلات الاستقبال وولائم الشيطان حتى تظُن النفس المسكينة أنها صارت شيئًا عظيمًا.. تظل ترتفع وترتفع وتطير وراء السراب وبينما هي منهمكة في الطيران والارتفاع وقد أصبحت منهكة القوى تفقد اتزانها وتدخل في مرحلة التوهان.. فقد تحاول تلك النفس أن تُخفي

هذا أمام الناس بأن تصير اجتماعية أكثر وتتحدث كثيرًا وكأنها صاحبة فكر، إلا أنها أمام ذاتها لا تستطيع أن تنكر أنها أصبحت مشوشة تمامًا، ولم تعد قادرة على التمييز بين الحقيقة والسراب.

يصف أبونا لوقا سيداروس هذه المرحلة فيقول:

"تتعرّض النفس البشرية لحروب ضارية تحاول أن تهلكها وفي أحيان كثيرة تكون النفس على حافة الهلاك إذ تكون وقعت فعلاً في فخ إبليس.. اقتنصها لإرادته وهو مزمع بإهلاكها، وهذه النفوس وهي في حالة الخطر هذه تكون قد ابتُلِعَت بالكامل وباعت نفسها للشر.. فالتعامل معها كالتعامل مع مجنون أخرس وأعمى.. هذا هو الحال تمامًا بالنسبة للذين يسقطون في فخ شهوات الجسد ويرتبطون بعلاقات جسدية في خطية الدنس.. فتشعر النفس أنها مرتبطة برباطات وقيود أقوى منها وتفقد حريتها وأخيرًا بعد محاولات يائسة تبيع إيمانها وتجحد مسيحها"[1].

---

[1] صـ ٨١ القمص بيشوي كامل رجل الله.

ثالثًا: الشيطان المُسَلسِل

حالما ينتهي الشيطان المشعلل من عمله يجتمع مع أصحابه ويصحبون النفس المسكينة في زفة يتيمة إلى الشيطان المسلسل الذي يفرح مع أعوانه بالنزيل الجديد.. فيفتحون أبواب السجن للنفس الأسيرة بينما تعلو ضحكاتهم بالسخرية والاستهزاء، فيرن صدى هذه الضحكات في آذان الضحية.

هذه مرحلة السجن والتعذيب.. مرحلة الربط والجلدات.. يبدأ الشيطان المُسلسِل عمله بربط وتقييد وسَلسَلة الفريسة بهمة ونشاط كبير حتى يضمنها تماماً وأنها لن تفلت من يده ولن تهرب منه، ثم ينهال عليها بالسياط حتى لا تفطن لنفسها بأي أرض هي.. دعنا نستعرض معاً يا صديقي بعض أصناف السلاسل والسياط.

١) سلسلة الهبوط:

عندما يسلم الشيطان المشعلل النفس تكون في أوج نشاطها ونشوتها فتسجل أعلى مقياس لاشتعال العواطف والانشغال، تكون قد سكرت وترنّحت بالشهوة والشهرة.. وبمجرد أن يتسلمها الشيطان المُسلسِل ويودعها بِسجنه، تبدأ العواطف تهدأ وتفقد النفس

نشـوتها شـيئًا فشيئًا، وتفقـد اهتمـام النـاس بهـا حيـث يعـودون إلـى انشغالاتهم، وتصبح حكايتها قديمة فلم تعد تثير الانتباه.

آه أيتها النفس المسكينة الشقية..!

أين كلمات المديح والإطراء..؟

أين حفلات الاستقبال وولائم الشيطان..؟

أين التحليق في الهواء..؟

هوذا الكل قد صار قديمًا.. مَرَّ وزال..

هوذا أنتِ تهوين من ارتفاعك الشاهق الذي رفعك إليه الشيطان المشعلل إلى قاع الواقع.. واقع الذل والعار والفضيحة والعري.

٢) سلسلة السقوط أمام النفس:

أعظم سقوط هو سقوط الإنسان أمام نفسه.. قد يسقط الإنسان في نظـر الكثـيرين ولكنـه لا يستسـلم بـل يجـاهد ويـناضل حتـى يسـترد مكانته.. أما عندما يسقط الإنسان أمـام نفسـه فعندئـذ يفقد كـل دافـع وكل همة للنهوض من الانكسار.. يكتشـف الإنسان أخطائه الجسـيمة وتصير نفسه أمامه عارية مكشوفة ومفضـوحـة فيصـير ناقمًا علـى كل شيء حتى على نفسه.. حقًا إن الحـال يصـل بهـذا الإنسـان إلـى كراهية وبغضة ومقت لنفسه..

٣) سلسلة اليأس وصغر النفس:

عندما تهبط النفس إلى الواقع المرير قد تحاول الهرب فتجد الشيطان المسلسل منتصبًا أمامها كمارد جبار يتصدى لها وبيده سلسلة اليأس وصغر النفس.. يبدأ يلف ويدور حول النفس التي تعوّدت الطاعة العمياء فلا تجرؤ أن تنتهره ولاتقوى أن تعصاه، إنما تستسلم له تمامًا تمامًا؛ فيدور بسلسلته مسلسلاً هذه النفس الساقطة، وعند الانتهاء من عمله تكون هذه النفس قد أصبحت يائسة بائسة متسائلة:

كيف أقوم وأنا منطرحة ومُسلسَلة..؟

وإلى أين أذهب..؟

بأي وجه أقابل أسرتي..؟

وبأي وجه ألتقي مع أقربائي وأصدقائي..؟

كيف أعلن هزيمتي المُرّة أمامهم..؟

هل سيقبلونني أم يطردونني طرد الكلاب الضالة..؟

ألن يتبرأوا مني..؟!

عندئذ تستسلم النفس لليأس وصغر النفس، وتحاول أن تعيش الواقع المرير.. فقط تحاول أن تعيش.. تعيش بعد أن فقدت نضارتها وصارت كالوردة الذابلة ليس لها مكان إلا الزبالة.. تعيش بعد أن فقدت ملوحتها فليس لها إلا الطرح خارجًا والدوس بأقدام

الناس والشياطين.. تعيش تجترّ آلامها وضيقاتها وأحزانها وهلاكها في صمت مطبق رهيب تنتظر الموت.

٤) سلسلة تخدير الضمير:

قد يثور الضمير.. وما أقوى ثورة الضمير؟!

يثور الضمير فيضع أمام النفس المُسلسَلة كلمات الإنجيل، وتظهر هذه الكلمات كسيف من نار يطارد النفس، يحكم عليها بالدينونة الرهيبة والعذاب الأبدي.. يقبض عليها ويطرحها في بحيرة النار والكبريت:

"من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضًا قدام أبي الذي في السموات" مت١٠:٣٣.

"من أنكرني قدام الناس يُنكر قدام ملائكة الله" لو١٢:٩

"من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين" مر٨:٣٨

"ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" مت١٦:٢٦.

"إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا" ٢تي ٢:١٢

تطارد هذه الآيات النفس المُنكِرة لمسيحها.. حقيقة أن النفس التي أنكرت المسيح تظل هذه الآيات تلاحقها بقوة، تلاحقها في كل

مكان.. في يقظتها وغفلتها.. في حركاتها وسكناتها.. لو مرت في طريق ورأت كنيسة.. كم تكون لوعتها.. لو أبصرت أحد الآباء الكهنة.. كم يكون حزنها..؟! في نومها ما أرعب الأحلام التي تتعرض لها.. وما هذه الأحلام إلا تعبير عن الواقع المرير الذي تحياه وصدى للمستقبل الرهيب الذي ستحياه.

يرى الشيطان المُسَلسِل هذه النفس الشقية والضمير يعذبها ويشقّيها فيخشى أن يقوى عليها هذا الضمير ويفتح لها ثغرة في سور السجن فتفر وتطير منه.. فماذا يفعل؟

إنه يمسك بسلسلة موت الضمير فتقف النفس في وضع الاستعداد مستسلمة له، وهو يلف ويدور ويرقص رقصته الشيطانية مستعرضًا عضلاته وسلاسله، وما أن ينتهي من رقصته حتى تكون الفريسة قد همدت تمامًا.. لقد أصبحت جثة بلا حياة وبلا ضمير.. مجرد جسد يتحرك في بلادة وبلاهة بلا أحاسيس وبلا مشاعر وبلا ضمير..

ياويلتاه عليك أيتها النفس المسكينة..!

هل أنتِ الذي جبلك الرب الإله على صورته ومثاله..؟

هل أنتِ الذي سكب المسيح نفسه للموت من أجلك..؟

هل أنتِ الذي دُفِعَ فيكِ أغلى ثمن في الوجود.. دم العريس السماوي..؟

آه.. آه.. مسكينة أنتِ أيتها النفس الشقية.. مَن ينقذك من الهلاك..؟

أين أنتِ من مسيح الخلاص..؟

أين أنتِ من الحياة الأبدية..؟

أيتها النفس إن كنت أعرفك أو لا أعرفك فإنني أذرف الدمع عليك دمًا.. فأنتِ أختي.. أختي بنت أبي وأمي.. أبي الله وأمي الكنيسة.

أختي التي سقطت في أيدي الشياطين فصارت هُزءًا وعارًا أبديًا.. وماذا أستطيع أن أفعل من أجلك يا أختاه..؟!

وليمة الشيطان:

لا يكتفي الشيطان المُسلسِل بسلسَلة الفريسة وسَجنها ولكنه يريد أن يُمتع نفسه بعذاب الفريسة.. فماذا يفعل..؟ إنه يدعو أصدقائه شياطين القسوة إلى وليمة ويقدم لهم الفريسة لكي ينهشوا لحمها ويشربوا دمها وهم يغنون ويرقصون والفريسة تتألم وتصرخ ولا مُجيب.. واستكمالاً لهذه الحفلة الشيطانية يشهر كل شيطان سوطه ويستعرض قوته وجبروته.. يُشهِر الشيطان الأول سوط الحقيقة

المُرّة.. والثاني سوط الوحدة القاتلة.. والثالث سوط رعبة الموت.. الخ.

١) سوط الحقيقة المرّة:

عندما ينهال الشيطان على الفريسة فيُلهب ظهرها بسوط الحقيقة المرّة تنظر النفس إلى مَن حولها ولا تصدق.. كيف تغيّرت الأحوال..؟ وكيف انقلب الجميع ضدها..؟

ماذا حدث للذين أظهروا لها الحب والبذل..؟

ولماذا أصبحت نظراتهم غير مريحة..؟

إنهم يتهامسون عليها: هذه النفس لم تكن أمينة على حياتها السابقة فلن تكون أمينة على حياتها الحالية..

كم تكون شقاوة النفس عندما ترى في عيونهم نظرات الاحتقار والازدراء..؟

وكم تبلغ تعاستها عندما تَشتَمّ منهم رائحة اتهامها بالخيانة..؟

وماذا فعلت حتى يعاملونها بهذه القسوة..؟

الروح الذي ظهر سابقًا في شكل ملاك.. ماله تحول إلى شيطان مُريع..؟

ولماذا يستغل الظروف إلى هذه الدرجة؟

نعم.. لأنه يعلم أن الفريسة لم يعد لها مكان آخر غير هذا السجن لذلك يحتقرها ويزدري بها ويقسو عليها.. لقد تبدل الحب الملتهب

إلى بغضة رهيبة.. إنه يجلدها بسياط جفائه وقسوته، يستعبدها ويأخذ كل ما يريده منها كرهًا واغتصابًا.. لا.. لاتتعجبي أيتها النفس فهذه حالة كل نفس تتخلى عن الله فيتخلى عنها.. كم تبلغ تعاستها وشقائها وعذابها..؟!

ها أنتِ أيتها النفس وقد أشعلتِ النيران فيمن كانوا حولك وفي ذاتك أيضًا.. فماذا تتوقعين أن يكون مصيرك..؟

وإليك ياصديقي هاتان القصتان اللتان يظهر فيهما عربون العدل الإلهي...

أ) زوجة مسيحية مات زوجها، وعوضًا عن تكريس حياتها لأولادها بددتها بعيش مسرف.. ظهر في حياتها رجل غير مسيحي، وضعفت أمام حنانه الخادع وإغراءاته المادية فضَحّت بأولادها وجحدت مسيحيتها وذهبت وراءه تعشّم نفسها بحياة سعيدة مفرحة..

أنجبت الولد الأول فإذ هو أعمى..

أنجبت الولد الثاني فإذ هو متخلّف عقليًا..

الراعي الذئب كشف عن حقيقته وتخلّى عنها وعن أبنائه.. أولادها السابقين أعطاهم الرب نجاحًا في حياتهم عوضًا عن تيتمهم من الأب والأم.. والعجيب أن هذه الأم الجاحدة ذهبت تطرق أبوابهم تطلب المعونة منهم..

ب) سيدة في العقد السادس من عمرها أقبلت مع زميلة لها إلى الأب الكاهن تطلب معونته وأن يبطل الأعمال والسحر المعمول لابنتها، استفسر أبونا عن قصتها فحكت له:

إنها سيدة مسيحية سقطت في حب شاب غير مسيحي منذ أكثر من ربع قرن.. تزوجت منه ولم تترك مسيحيتها، كانت تذهب إلى الكنيسة وتتقدم للتناول (طبعًا بدون اعتراف) وهي لا تعلم أن هذا الذي تسميه زواج هو زنى لأن أحد الطرفين غير مسيحي كما أن سر الزيجة لم يُتمَم.

أنجبت ابنة وخصصت لها كل حياتها وعلمتها في مدارس راهبات.. طبعًا هذه الابنة لم تخرج للحياة مسيحية..

في الأيام الأخيرة تعرفت على شاب بلطجي غير متعلم وارتبطت به عاطفيًا ضد إرادتنا رغم أن مستوى هذا الشاب الأخلاقي والمادي والبيئي لايوافقنا على الإطلاق.. تريد أن تسلبنا كل شيء وتعطيه كل شيء.. لقد أصبحت الحياة معها مستحيلة، تقابل حبنا بجحود وتعاملنا كأعداء حتى صارت حياتنا جحيمًا.. فهل لك يا أبونا حلاً في هذه المشكلة..؟! يقولون أنك تفك الأعمال وتقوى على الأسحار.. فهل هذه حقيقة..؟

قال لها الأب الكاهن يا ابنتي أنـا لست رجل أعمـال ولا أسـحار ولكني رجل كهنوت وصلاة.. بدأ يحدثها عن المسيح والكنيسة لعل ضميرها الذي مات منذ نحو ربع قرن يستيقظ فيها.

٢) سوط الوحدة القاتلة:

يرفع شيطان آخر سوط الوحـدة القاتلـة ويهـوى بـه علـى النفس المُسلسَلة.. فماذا يحدث؟

تشعر تلك النفس بلهيب الوحدة يحرقها.. فهوذا قد صارت وحيدة بلا عون ولا حبيب.. إنها وحيدة مسكينة مسبية، تعيـش فـي السـبي والعالم كله علـى اتساعه لم يعد إلا سجنًا لهـا تعيـش فيـه وتنتظـر ترحيلها إلى سجن الجحيم.. هوذا قد أصبحت غريبـة.. غريبـة عـن كل صلاح.. غريبة عن السماء والسمائيين . غريبة عن الملائكـة.. لم يعد لها دالة لدى العذراء مريم، ولم يعـد لهـا ربـاط بمـارجرجس والست دميانة وبقية الشهداء، ولم يعد لها صلة بالبابا كيرلس وبقيـة القديسين.. لقد صارت غريبة.. غريبة حتى عن الأب والأم والأخوة والأصدقاء.. أما الذين أظهروا لها الحب فقد تخلوا عنهـا.. لـم تعد تشـعر بـأحد إلا بالشياطين.. المدبـرون والمشـعللون والمسلسـلون يرقصون حولها ويضحكون، يسخرون منها ويسـتهزئون ويشـمتون بوحدتها.



٣) سوط رعبة الموت:

يشهر شيطان ثالث سوط رعبة الموت و يهوى على الفريسة المقيَّدة.. عندئذ تدرك النفس رعبة الوقوف أمام كرسي المسيح الديان حتى أنها تصرخ بكل قوتها على الجبال لتسقط عليها وعلى الآكام لتغطيها وللأسف فإن الجبال لن تصغي لها والآكام لن تطيعها.. تتصور وقوفها عارية أمام الديان العادل لكي تسمع صوت القضاء الإلهي عليها قائلاً:

"والعبد البطّال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت ٢٥: ٣٠).

"اربطوا رجليه و يديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت٢٢: ١٣)

"أذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (مت٢٥: ٤١).

أما لحظات الموت وما بعد الموت فلم أجد صورة أوضح من الصورة التي ذكرها أحد الآباء قبيل نياحته وأقتطف منها الآتي:

"طرق بابي سائل.. ففتحت له فوجدت ملاك الموت جاء لأخذ روحي إذ حانت ساعتي.. فاستمهلته قليلاً ريثما أكتب هذه الكلمات.. الواقع إن ساعة الموت رهيبة.. لكن مقدار رهبتها يتناسب مع مقدار الإهتمام في الاستعداد لها.

وفي لحظة أحسست بروحي تضيق جدًا كأنها تخرج من عنق زجاجة دقيق للغاية، ومنه إلى اتساع لا نهائي وخرجت الروح إلى عالم آخر.. وبقي الجسد مُسجًى على الأرض في التراب الذي منه أتى.. وتلفت حولي فإذا بجماعة من الشياطين واقفة شاخصة نحوي ومنظرها قبيح جدًا وعلى رأسها شيطان جبار يخترق قلبه سهم وتبدو على لحيته أعراض نتف وهو واقف قلق مضطرب ينتظر لحظة العبور ونتائجها، ورأيت مقابلهم جماعة أخرى منيرة من الملائكة وهي كائنات بسيطة للغاية ولكنها نارية لا تتكلم سوى بالأناشيد والتسابيح وأصواتها رقيقة عزبة تُلقي في القلب سلامًا ويرأسها أيضًا مَلاك أحسست بشدة أنه تربطني به صلة.. وكانت هذه الجماعة من الملائكة أكبر عددًا من الشياطين، وأكثر التصاقًا بي وتبدو عليهم علامات الترحيب الهادئ المطمئن.. أما جماعة الشياطين فكانت تتهامس مُشيرة إلى الثوب الذي ألبسه، وتفرست فيهم.. وعرفتهم دون مرشد فهذا كبرياء وهذا كذب وهذا سرقة وذاك زنى وتلك نميمة، وهكذا تعرفت على معظمهم ونظرت إلى ما يشيرون إليه فوجدت أن البقع التي اتسخ بها ثوبي تحمل كل منها صورة أحدهم وأنا لا أدري فأسقط في يدي وانتابني خوف.. ونظرت إلى الملائكة ألتمس سلامًا في هذا الموقف الحرج فعرفت منهم المحبة والوداعة والبساطة والسلام والاتضاع وكل منهم يحمل

باقة من مختلف الأعمال الصالحة والفضائل.. وفي اليد الأخرى سيفًا ماضيًا.. وإذ بملاك الموت يتقدم ويبوّق فرأيت أمامي ناحية الشرق بابًا يؤدي إلى منطقة منيرة جدًا لم أستطع بعد أن أتبينها لكنني أحسست بلهفة شديدة على دخولها، وناحية المغرب منطقة أخرى سحيقة لا يظهر لها قرار ومظلمة جدًا أوقعت الرعب في قلبي.. فأسرعت إلى باب الشرق مُريدًا الدخول والنجاة ولكن ما أن اقتربت منه حتى ظهر ملاكان في لباس الجنود منعاني من الدخول وأشارا إلى تلك البُقَع التي تُلطِّخ ثيابي، قائلين: الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله، وأن عليّ دينًا لم أوفيه وأن لجماعة الشر حق لديّ لابد أن أذهب بمقتضاه إلى باب المغرب، وفعلاً بدأت أشعر بمجال شديد يجذبني ناحية المغرب فصرخت هلعًا.. وطلبت من رئيس الملائكة معونة، فأفهمني أن تلك البقع تنجذب بطبيعتها نحو الهاوية وأنه لاسبيل إلى محوها إذ قد مضى زمان التوبة، ووجدت لدهشتي أن رفيقي (شخص آخر غير مؤمن مات في نفس اللحظة) الذي أتاه ملاك الموت يمر بنفس الضيقة وأن ثوبه مع قلة ما به من بقع بالنسبة لثوبي لكنه ينجذب أيضًا إلى الهاوية، وصرخت في اللحظات الأخيرة قبل سقوطي في هذا الظلام: أين مسيح الخلاص..؟ لم يكن من يجرؤ حتى من الملائكة على نجدتي ولاحت علامات الانتصار على وجوه جماعة الشياطين.. وفجأة

ونحن (أنا ورفيقي) على قاب قوسين أو أدنى من الهاوية لاح لنا نور عظيم وبريق لامع وشخص في لهيب نار .. بهي الطلعة.. جميل المنظر.. رائع الوصف.. لا أستطيع أن أعبّر عن شدة حلاوته، ومحاطًا بربوات من الملائكة ذات الطبيعة النارية والقديسين وعرفته في الحال (إنه السيد المسيح).. فسجدت له خارًا على وجهي ثم رفعت وجهي نحوه طالبًا معونة.. للعجب وجدت أنني أشبهه ولي سمته وتنطبق صورته عليّ ماعدا ثوبي المتسخ (البقع التي على ثوبه هي خطايا السهو والهفوات).. آه.. هذا هو الأبرع جمالاً من بني البشر.. نعم هذا هو مشتهى قلبي وكل رجائي.. هذه هي اللحظة التي عشت حياتي أنظرها بعين الرجاء.. هذا من آمنت به ووثقت فيه.. وما أن مدّ يده لتلف حولي حتى رأيت في كفه آثار جرح غائر، هذا ينبوع الخلاص، ولشدة عجبي كان الجرح لايزال ينزف..!

وسقطت نقطة من هذا الجرح، نعم نقطة دم إلهي، ونقطة واحدة كانت كافية لتمحو كل وساخة الخطية.. وفي الحال كفّت الهاوية عن جذبي ناحية الهلاك.. وفجأة دوت صرخة هائلة، وإذا رئيس جماعة الشياطين قد سقط في الهوة السحيقة وجماعته في سلاسل الظلام.

ثم تلفّت حولي فوجدت رفيق الموت مازال ثوبه متسخًا وما زال يسرع نحو الهاوية، فأشفقت عليه وصرخت إليه "**هذا يسوع**" لكنه

لم يفهم ما أقصد فتعجبت إذ لم يستطع أن يدرك مصدر الخلاص لأنه لم يؤمن به.. لم تكن فيه صورة الفادي.. ورن صوته حزينًا وهو يهوى فحزنت وتمنيت لو عرف ما عرفت وآمن بما آمنت فنال مانلت.

انفتح باب المشرق فإذا بأصوات ترانيم الغلبة والخلاص وتسبيحات الملائكة وأصوات القديسين وروائح الصلوات النقية.. وتطلعت إلى جنب الحبيب فإذ بأثر طعنة نافذة فيه، ما أن نظرت إليها حتى سَرَتْ فيّ حياة جديدة وتغيرت كل حواسي وعقلي ومداركي، وتكشفت أمامي أسرار مخفاة عن كل بشر وأمجاد لاتوصَف.. ثم رأيت حولي جموع القديسين وعرفتهم في الحال واحدًا واحدًا.. ورأيت عن يمين السيد المسيح امرأة جميلة رقيقة ثوبها كله يلمع جدًا كأنه موشى بالذهب (القديسة العذراء مريم).. ورأيت فئة من المكملين تتميز بتاج لامع على رؤوسها عرفت فيهم البطل مارجرجس، والقديسة دميانة وكثيرين ممن لم أسمع سيرتهم على الأرض لكن كانت هذه مكتوبة في السموات.. وجماعة أخرى يحلو لي أن أسميهم جماعة المُسبحين وكل منهم ممسك بقيثارة يسبح بها ويتهلل بوجوده على الدوام مع حبيبه.. أما أنا فقد جاءني أحد الملائكة وأجلسني في نهاية الصفوف كلها إذ كان ثوبي أقلهم لمعانًا..! ولكن الحق أني كنت شديد الفرح والقناعة إذ لم أكن

أحسب نفسي أهلاً أن أكون في هذا الموضع ولا أن اشترك مع هـذا الخورس السمائي فـي هـذه التسبحة المتوافقـة المنسـجمة بمـا يفـوق الوصف.

وانتبهت وتلفّت حولـي فـإذا بـي لـم أكمـل جهـادي بعـد، وإذا بـي مازلت في الجسد، أما اشتياقي وحنيني إلى السماء فقد التهب وتوهج علـى الرجـاء فصمّمـت أن أبـدأ فـي غسـل ثوبـي فـي دم الخـروف إستعدادًا ليوم اللقاء وخوفًا من العبور الرهيب.

هــل لــي توبــة..؟

ها النفس الساقطة تهمس قائلة:

أنا لم إخطئ بمفردي فلماذا أتحمل العقاب وحدي..؟

أين كانت اسرتي.. أبي وأمي وأخوتي حين ضللت..؟

ولماذا أغمضوا أعينهم عني حتى سقطت وضللت..؟

ما أعظم حسرتي..!!

أنا الذي كان اسمي مكتوبًا في سفر الحياة.. كيف ضاع مني..؟

عجبًا.. ما هذا الذي أراه..؟

آلاف وملايين يأتون إلى مسيح الخلاص وأنا ابنة المسيح أطرَد خارجًا.. حقًا إن كلام يسوع يتحقق:

"كثيرون سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات.. وأما بنو الملكوت فيطرحون في الظلمة الخارجية" (مت٨: ١١، ١٢).

لكن ياصديقي دعك من هذا وذاك.. الوقت قد أصبح حرجًا جدًا ولا وقت للعتاب.. فقط دعني أسأل:

هل لي توبة..؟

هل لي رجاء..؟



هل لي حياة أخرى..؟

يقول الرب الإله القادر على كل شيء..

نعم.. نعم.. نعم..

نعم لكِ خلاص.. بشرط أن تتركي مكان الخطية.

نعم لكِ خلاص.. بشرط أن تضعي كل ثقتك وإيمانك ورجاءك فيّ فأنا مسيح الخلاص.. أنا مسيح المعجزات.. أنا القادر على كل شيء.

نعم لكِ الخلاص.. بشرط أن تكوني مستعدة لدفع التكلفة للعودة للحظيرة.

وحقيقة الأمر أيتها النفس العزيزة أنا الذي أناديك.. أنا الذي فديتك بدمي.. كم أنتِ غالية عليّ.

أطلب إليكِ أيتها النفس المسكينة أن تعودي..

عودي سريعًا قبل غروب شمس حياتك..

أتوسل إليكِ أيتها النفس الضالة أن تعودي..

عودي سريعًا لأنني أنتظرك بلهفة.. مستعد أنا.. مستعد أن أستر عُريَكِ بثوب برّي.. هوذا خاتم المُلك وحذاء الاستعداد وحلة العريس في انتظارك.

أتضرّع إليكِ أيتها النفس الشاكرة أن تعودي..

عودي سريعًا بدموع بطرس السخينة لأنني لن أرفضك.. أنا راعيكِ الأمين، وعدم أمانتك لن يُبطِلْ أمانتي.. مستعد أنا.. مستعد أن أحملكِ على منكبيّ.. مستعد أن أعوّضك عن سنين الحزن والتنهد والمذلة.. مستعد أن أقبلكِ في فرحي السمائي.

حقيقة أقولها لكِ أيتها النفس اليائسة أن عودتكِ تُفرح كل ملائكتي.

"هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًا لايحتاجون إلى توبة" (لو١٥: ٧)

دعيني أكشف لكِ عن محبتي في صورة محبة ملائكتي وشهدائي ورجالي الأمناء، وما محبتهم النسبية للخطاة إلا صدى لمحبتي الكاملة لهم.

١. في القرية الصغيرة فجأة اختفت البنت الجميلة ذات الستة عشر ربيعًا.. بحثوا عنها لدى الأقارب وفي الحقول ولم يجدوها قالوا لهم أنها خرجت من القرية مع فلان الغير مسيحي الذي أوصلها إلى مخارج القرية وسلمها لعدة أشخاص وعاد إلى مكانه.

توجه الأب والجد والعم والأم مع كاهن القرية إلى مركز الشرطة يحررون محضر اختطاف محددين أسماء المختطفين.. تحركت جهات الأمن على الفور، وبعد محاولات استغرقت معظم الليل نجح ضابط المباحث في إحضار الفتاة مع الشباب المتهمين بعد

أن بذل مجهودًا كبيرًا مع رجاله.. البنت ظهر عليها عدم التركيز وأيضًا الخوف والرعب من أهلها.

أرشد الله الضابط لكي يحتفظ بها في غرفة ويغلق عليها الباب ويحتفظ بالمفتاح ويدخل إليها الأكل بنفسه خوفًا من اغتيالها.. في الصباح عُرضَت على النيابة التي ظلّت تحقق في الموضوع منذ التاسعة صباحًا حتى الثالثة ظهرًا، وأخذوا تعهد على والدها بعدم التعرض لها، واتهموه بأنه كان يعذّب ابنته فأحالوها للطب الشرعي وحكموا عليه بالحبس أربعة أيام على ذمة التحقيق.

كان اليوم كئيبًا جدًا، ولم تتصف هذه الابنة أسرتها سواء بارادتها أو بدون ارادتها ..... استعدت القرية والقرى المجاورة لزفة العروسة، واشتروا لها جهاز العرس...... الخ.

وفي الليلة التالية وهي نائمة على كرسي بحجرة ضابط المباحث وحيدة شعرت بنور شديد يشرق حولها حتى قفزت من مكانها في فزع.. لم ترى أحدًا ولكنها سمعت صوتًا يقول لها:

"ياماريا.. أنا الملاك ميخائيل.. ممكن أفتح لك كل الأبواب لكنك لا تعرفي طريق العودة إلى منزلك.. غدًا أبونا سيحضر ويأخذك معه.

عندئذٍ فاقت من غفوتها وأخذت تعد الدقائق منتظرة أبونا.. أما منظر لقاءها مع أبيها بالأحضان والدموع فكان فوق الوصف.

٢. فتاة من أسرة بسيطة، أغراها بعض الشباب بترك مسيحيتها وزواجها من أحدهم.. انخدعت الفتاة وهربت من أسرتها مع الشاب الذي ستتزوج منه، وفي تلك الليلة باتت مع أمه وأخوته البنات ريثما تنتهي الإجراءات فيعقدون قرانها على ابنهم.

كيف وجدت هذه الابنة نومًا في هذا المكان..؟! هذا دليل على ضميرها الذي تخدر وعماها الروحي.. كانت هناك نفس تصرخ من أجلها لله وتتشفع بالشهيد العظيم مارجرجس، إنها أمها المكلومة التي لم تكف عن البكاء والنحيب.

في ظلمة الليل والفتاة نائمة وسط الفتيات نظرت مارجرجس يطعنها بالحربة ويوصيها بشدة قائلاً:

"يا ..... أنت نائمة هنا وسايبة أمك تتحرق عليك.. في الصباح الباكر تعودين إليها".

وفعلاً في الصباح الباكر هربت هذه الابنة من هوة الهلاك إلى أحضان الأم الأمينة.

٣. هذه القصة حدثت مع الأنبا ابرآم أسقف الفيوم قديس القرن العشرين:

" أغريت فتاة مسيحية بسيطة من شاب أممي للارتداد عن إيمانها وقدمت طلبًا إلى المديرية، وأحيلت إلى الأب الأسقف الذي تولّى

نصحها وإرشادها فلم تقبل.. وأخيرًا لما يئس منها تضايق رغم ماعُرف عنه من محبة وطول أناة ورحمة، وقال لها:

الله يعرف شغله فيكِ.. اذهبي إلى حال سبيلكِ.

فلما خرجت ووصلت إلى السلم سقطت بلا حركة، وعلم الشاب بالأمر فأبلغ الحكومة مدّعيًا أن الأسقف قد أماتها، ولما سُئلَ الأنبا ابرآم، قال:

لا.. لم تمت لكنها نائمة.. وصلى على ماء ورشه في وجهها فقامت (بعد أن اكتشفت الحقيقة)، ولما سُئلَت ماذا جرى..؟ قالت: لما نصحني الأسقف ورفضتُ غضب عليّ وعند نزولي على السلم شيء إلهي أخذني وطرحني على الأرض، وأنا الآن لا أستطيع أن أترك المسيح لأني لمست بنفسي قوة الإيمان المسيحي"[٢]

٤. هذه القصة حدثت بكنيسة القديسين مارمرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء..

"إحدى الفتيات أضلّها عدو الخير وعزمت على ترك مسيحيتها، فذهب أهلها لأبينا بيشوي كامل وأخذوا ميعاد معه في كنيسة القديسين، أما هو فرفع صلوات حارة نارية من أجل خلاصها..

---

[٢] صـ ١١٥ القديس الأنبا ابرآم للقمص ميخائيل سعد.

وافقت الفتاة على مقابلة أبونا بيشوي.. وحضرت إلى كنيسة القديسين قبل الميعاد وقالت لأهلها:

إنني لن أغيّر رأيي إلا إذا ظهرت لي العذراء.. جلست بالكنيسة أمام أيقونة العذراء مريم (وهذه الأيقونة مُدشّنة، وقد أهدتها كنيسة مارجرجس باسبورتنج لكنيسة القديسين عند نشأتها) ونظرت الفتاة إلى الأيقونة وإذ بها تجد السيدة العذراء مجسمة في أيقونتها تنظر إليها في حنان بالغ لم تقوى على مقاومته بل فاضت عينيها بدموع التوبة والندم، وبعد انتهاء صلاة رفع بخور عشية وحضور العظة التي ألقاها أبينا بيشوي كامل جلست معه، ولم تكن محتاجة لشيء إلا أن تقص قصة ظهور العذراء الأم الحنون لها وتوبتها، وقدمت اعترافًا صادقًا وتغيرت حياتها".

٥. تحت عنوان الضيف العجيب كتبت مجلة صوت الراعي في عدد ديسمبر سنة ١٩٩٥:

"علم أبونا بيشوي أن ابنة المسيح سوف تنكر الإيمان فطلب من زوجته أن تعد حقيبة السفر وتجهز نفسها لأنهم سيقضون وقتًا في مكان بعيد –مع أن هذه الابنة كانت في الإسكندرية– كان هذا إشارة إلى طول المدة التي يقضونها في ذلك السفر حسب تعبير أبونا بيشوي.

ذهبا معًا إلى بيتها وطلبا من أسرتها أن يمكثا عندهم بعض الأيام كضيوف هربًا من الناس الذين يتسابقون وراء أبونا في كل مكان فرحب بهم الجميع.

شعرت هذه الابنة بالقلق.. لكن لعلمها بكثرة مشاغل أبونا بيشوي وخدمته المتسعة جدًا ومحبته للقداسات والعشيات.. أعطاها ذلك راحة بأن هذا الوضع لن يطول.

وبدأ الأب المُحب ينتهز كل فرصة يجلس فيها مع هذه الابنة وجعل مكانه المُفضَّل هو كرسي بجوار باب الشقة.. يمر الوقت ولا يمّل أبونا بيشوي، ولايبرح المكان فلا يوجد ما يشغله أكثر من خلاص نفس هذه الابنة.. وبعد أيام طويلة ترك فيها أبونا بيشوي كل شيء من أجل نفس واحدة.. وبعد صلوات عديدة وطلبات وتشفعات من أجل هذه النفس التي فداها المسيح.. تحرك قلب الفتاة وبكت أمام هذا الحب الباذل وندمت على كل شيء.

إن أبوة أبونا بيشوي الحانية هذه واهتمامه الشديد بكل نفس ما هو إلا انعكاس لأبوة الله الفائقة.. فالله لايدير أمور العالم فقط بل يهتم بكل نفس على حدة.. فهو أب ومعين وملجأ لكل نفس.



٦. كتب أبونا لوقا سيداروس يخاطب روح أبيه القمص بيشوي كامل:

"شابة بسيطة وكان الشيطان يغويها بطرقه وحيله الردية، ووقعت فريسة للصداقة مع شاب غير مؤمن فكانت في خطر.. وسرعان ما سَعيْتَ نحوها، وفي بساطة ملأ روح التوبة قلبها وتركت هذا الطريق وبدأت تثبّت قلبها نحو ملكوت الله وكان هذا قبل انتقالك بشهور قليلة.. وكانت تضعف أحيانًا فتسعى إليك وأنتَ في فراش المرض، وكانت تأخذ قوة لتكميل عمل التوبة.. ومرّت الأيام حزينة بعد انتقالك وعاد الشيطان إلى حيله يغريها ويغرر بها.. وظن أنها أصبحت بلا معين وبلا قوة في مواجهته.. وقليلاً قليلاً رجعت إلى الخلف حتى أصبحت في ذات الخطر القديم.. وفي رؤيا الليل رأت نفسها وكانت تسير متأبطة ذراع صديق الشر، وهي تسير بالقرب من منزلها، وإذا بها تراك فجأة أمامها في الشارع متجهًا وناظرًا إليها نظرة جادة وحازمة، ورأتك هكذا مهوبًا مخيفًا.. فاضطربت جدًا وارتعشت فرائصها من هول المفاجأة.. كيف تراها على هذه الحالة..! وهالها منظرك البهي وبحزم رأتك تتكلم معها بلهجة جادة: "أنا مش قلت لك يابنتي ما تعمليش كده تاني..؟ يالا امشي قدامي" فانفلتت من ذراع الشاب، فالتفت إليه موبخًا ومحذرًا: "إياكِ تمشي معاها تاني.. فاهم والا لأ..؟"

واستيقظت الشابة في الحال وهي في رهبة.. منظرك ماثل أمام عينيها وصورتك لاتبارحها ورنين نبرات صوتك في أذنيها، وتعهدت في لحظتها بصلاة ودموع أن لا تعود إلى هذا الطريق مرة أخرى.. ومن عجب ياأبي أنها لم تعد تجد صعوبة في ترك هذا الطريق إذ أحست حقًا بقوة تؤازرها ونعمة خاصة تسند جهادها."[٣]

٧. وأيضًا يحكي أبونا لوقا سيداروس القصة التالية:

" وإن نسيت يا أبي لا أنسى يوم كنت تركض لتخلّص بنت فقيرة قد وقعت في براثن شابًا مجند غرر بها واستدرجها حتى أصبحت فريسة سهلة.. يومها كنت تجري بكل طاقتك الروحية من مكان إلى مكان.. من قسم البوليس إلى النيابة العسكرية، إلى الطب الشرعي.. وأخيرًا أخلت النيابة سبيلها وكنّا على باب الطب الشرعي وخرجنا ومعنا الفتاة في أيدينا وهممنا بركوب السيارة ولكن كان الشاب قد أعد كمينًا هو وبعض الجنود الشبان وانقضوا علينا بقوة وحاولوا خطف الفتاة من أيدينا، وفي لحظات تجمّع حولنا مئات من الناس مع سيارة بوليس وكأنها قد أعدت خصيصًا وأخذوا الفتاة عنوة وأركبوها في سيارة البوليس ولكنك تشبثت بقوة بسيارة البوليس تمنعها من التحرك.. وكنت تصرخ لن اترك بنتي.. مش ممكن

---

[٣] صـ ٩٧ القمص بيشوي كامل رجل الله جـ٢.

أسيبها.. وتحركت السيارة وأنت ممسك بها من الخلف وأسرعت السيارة فصارت تجرك خلفها.. وأشفق عليكَ بعض الحاضرين وكانوا يصيحون فيك أن تترك السيارة لئلا يصيبك ضرر.. ولما أخذت السيارة قوة اندفاعها وفلتت من يديك أحسست أن قوة ملائكية حفظتك من السقوط على الأرض..

ساعتها ياأبي لم أتمالك نفسي من الدموع.. إذ رأيتك مثل مخلّصك تبذل نفسك عن الخراف الضالة.. ولم تترك الموقف بل واصلت سعيك إلى أن ردها الرب إليك وفرح قلبك المحب للمسيح"[٤].

٨. **هناك قصة [٥] رواها البابا مكاريوس الثالث رقم ١١٤** يحكي فيها عن رجل شاهد أمرًا عجيبًا حدث ليلاً بالقبور إذ أشرق حوله نور عظيم، وأبصر سيدة بالغة الروعة والجمال، يحيط بها جمع كبير كأنهم جنود يحرسون ملكة (السيدة العذراء). وأمرت السيدة بفتح مقبرة كان قد دُفن بها حديثًا رجلاً ترك المسيحية.. ففتح الجنود (الملائكة) المقبرة وأخرجوا جثة الرجل.. ثم أحضروا قدرًا كبيرًا

---

[٤] صـ٨٥،٨٦ القمص بيشوي كامل رجل الله.

[٥] مجلة مدارس الأحد أغسطس ١٩٤٩/ صوت الراعي سنة ١٩٩٠.

مملوء بالماء الساخن ووضعوا فيه جثة الرجل.. حينئذٍ طَفَتْ بعض نقاط من الزيت على وجه الماء، فأمسكت السيدة بملعقة صغيرة وجمعت هذه النقاط في زجاجة صغيرة وهي تقول:

"إنه لايستحق ميرون ابني.. إنه لايستحقه" ثم أعادوا جثة الميت وأغلقوا المقبرة وسكبوا الماء على الأرض.

من أقوال القديس ثيوفان الناسك:

ظلمة العمى:

" عندما يوثق الشيطان إنسانًا في عبودية الخطية يحاول على وجه الخصوص أن يزيد ظلمته أكثر فأكثر مصيبًا إياه بالعمى الروحي، ومزيلاً منه كل فكر صالح كي لايقدر أن يتحقق من الضرر الذي أصاب حياته.. يغرس في قلبه أيضًا أفكارًا شريرة وفاسدة، وفي الوقت نفسه يهيئ الشيطان له فرصًا كثيرة لارتكاب الخطية التي صارت عادية بالنسبة له مغريًا ذلك الإنسان البائس للسقوط فيها أو في خطايا تفوقها شناعة.. وهكذا يدخل الخاطئ المسكين في ظلمة العمى أكثر فأكثر"[٦]

---

[٦] صـ٨٧،٨٨ المحاربات الروحية جـ٢.

"ينبغي أن يحترس الجميع من اتصالهم مع الجنس 'الآخر.. بدون الخوف والانتباه لذاتك يختلط هذا الاتصال عمليًا بالشهوة الحسية الرديئة.. فتتسلل إلى النفس تدريجيًا وبلا شعور حتى تصل إلى عمق أعماقها، وهكذا يظلم العقل حيث أصابه العدوى يبدأ في التهاون بأسباب الخطيئة الخطيرة مثل الحملقة الشهوانية أو الكلمات الحلوة من الجهتين أو حركات الإغراء وأوضاع الجسد وضغط الأيدي.. لذلك يا أخي اهرب من هذه النار.. سوف لاتلاحظ على الإطلاق كيف اشتعلت بالحب الجسدي لهذا الحد حتى أنك لم تعد تخجل من الناس ولاتخاف الله وسوف لا تعبأ بالشرف ولا بالحياة.. ولا كل عذابات الجحيم حتى تتوق لتتميم الخطية"[٧]

العودة للأحضان الإلهية:

"يصف الآباء القديسون مثل هذا الإنسان (الذي يرغب في التوبة) كأنه محاطًا بالنيران من جميع الجهات من فوق ومن أسفل، من اليمين ومن الشمال، من الأمام ومن الخلف، وتصوب نحوه سهام من كل مكان"[٨]

---

[٧] صـ٥٤ المحاربات الروحية جـ٢.

[٨] صـ٩٥ المحاربات الروحية جـ٢.

" بالصلاة نضع سيف المعركة في يد الله ليحارب أعداءنا ويغلبهم طوال محارباتنا الروحية "[9]

"فإن كانت نفس مثقلة بآثام وخطايا كثيرة وإن كانت مذنبة بكل جرائم الدنيا، وتنجست بصورة تفوق الخيال وفي نفس الوقت إن كانت بقدر قوتها ودوافعها تبذل كل المحاولات وتستخدم كل الوسائل كي تتحرر من الخطية.. إن الله مستعد دائمًا بالأدوية والعلاج للذين آذاهم العدو، وهو يرسل إليهم المعونة في الوقت المناسب ليغلبوا عدوهم إن كانوا يطلبونه ويرجونه بعزم وثبات"[10]

" تختفي الأعشاب والزهور عن وجه الأرض في فصل الشتاء ولكن تبقى جذورها سليمة مختبئة في أعماقها، ولكن مجرد أن تشعر بأمطار ودفء الربيع تبدأ حالاً في الإنبات وتغطي وجه الأرض"[11]

---

[9] ص ٥٣ المحاربات الروحية جـ٣.

[10] ص ٣٩،٣٨ المحاربات الروحية جـ١.

[11] ص٣٦،٣٧ المحاربات الروحية جـ٣.

هذه المجموعة تشمل:

١. الكتاب المقدس .... هل يُعقل تحريفه..؟

٢. إنجيل برنابا .... هل يُعقل تصديقه..؟

٣. التثليث والتوحيد .... هل ضد العقل..؟

٤. التجسد الإلهي .... هل له بديل..؟

٥. ألوهية المسيح .... من يخفي الشمس..؟

٦. الصليب .... هل ننجو بدونه..؟

٧. الخروف الضال .... كيف يضِل..؟

الإيداع بدار الكتب : ٨٩٥٠/ ١٩٩٦

قداسة البابا شنودة الثالث يحمل رأس شهيد من أخميم

هذه المجموعة تشمل:

١. الكتاب المقدس .... هل يُعقل تحريفه..؟

٢. إنجيل برنابا .... هل يُعقل تصديقه..؟

٣. التثليث والتوحيد .... هل ضد العقل..؟

٤. التجسد الإلهي .... هل له بديل..؟

٥. ألوهية المسيح .... من يخفي الشمس..؟

٦. الصليب .... هل ننجو بدونه..؟

٧. الخروف الضال .... كيف يضل..؟

الثمن ١٠٠ قرش